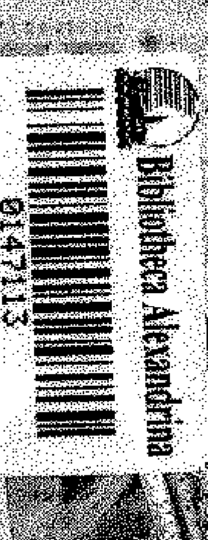
ممدوح الشيخ

أشهر الأحلام في التاريخ

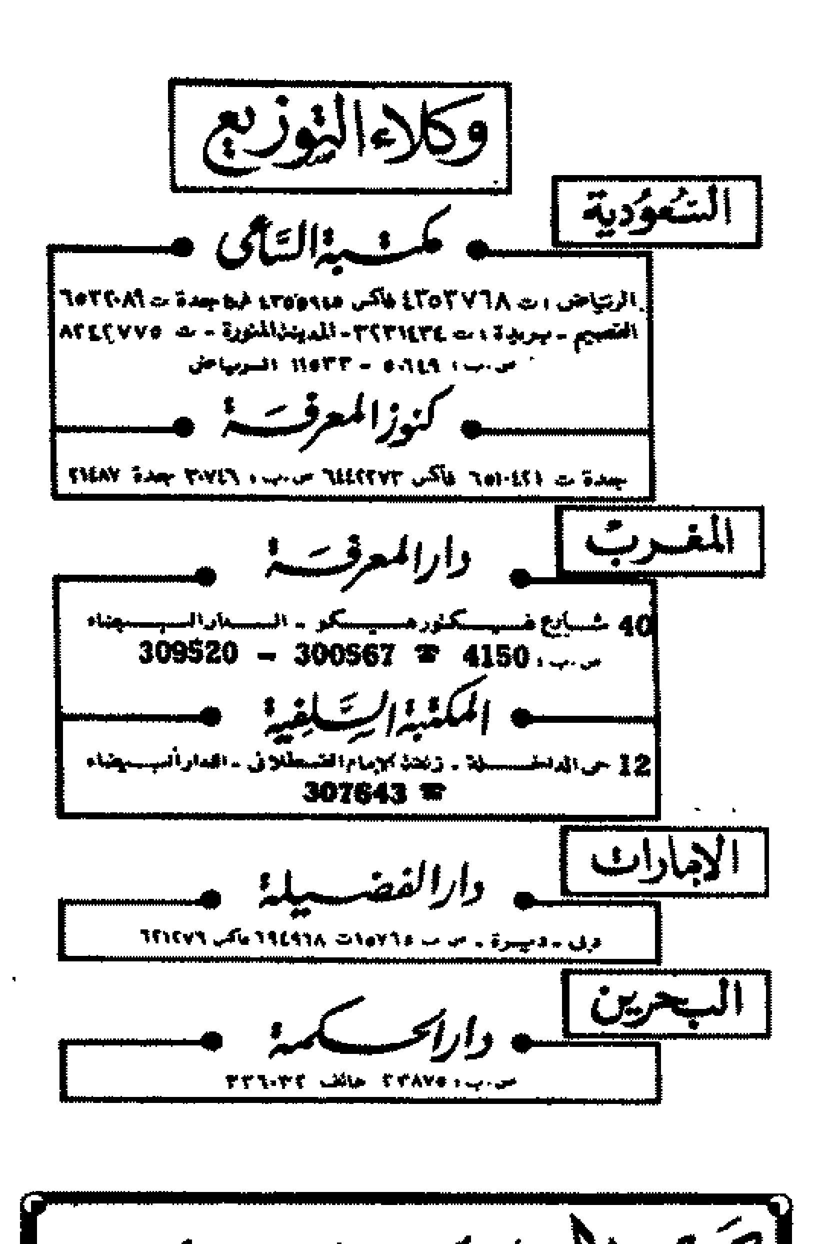




ممدوح الشيخ

أشهر الأحلام في التاريخ

مكتبة ابن سينا
للنشر والتوزيع والتصدير
٧٦أ شارع محمد فريد . جامع الفتح . النزهة
مصر الجديدة . القاهرة . ت ٢٤٣٩٨٦٢ فاكس ٢٤٨٠١٨٢


وكلاء التوزيع
السعودية
مكتبة الساعي
الرياض: ت ٤٣٥٣٧٦٨ فاكس ٤٣٥٩٩٤٥ فرع جدة ت ٦٥٣٢٠٨٩
القصيم - بريدة: ت ٣٢٣١٤٣٤ - المدينة المنورة - ت ٨٢٤٤٧٧٥
ص.ب: ٥٠٦٤٩ - ١١٥٣٣ الرياض
كنوز المعرفة
جدة ت ٦٥١٠٤٢١ فاكس ٦٤٤٢٢٧٣ ص.ب: ٣٠٧٤٦ جدة ٢١٤٨٧
المغرب
دار المعرفة
40 شارع فيكتور هيكو - الدار البيضاء
ص.ب: 4150 ☎ 300567 - 309520
المكتبة السلفية
12 ش. الداخلة - زنقة الإمام القسطلاني - الدار البيضاء
☎ 307643
الإمارات
دار الفضيلة
دبي - ديرة - ص ب ١٥٧٦٥ ت ٦٩٤٩٦٨ فاكس ٦٦١٢٧٩
البحرين
دار الحكمة
ص.ب: ٢٣٨٧٥ هاتف ٣٣٦٠٣٢

مقدمة

النوم ليس مواتًا ولكنه عالم خاص مليء بالأحداث ومليء بالحركة لكل وظائف الجسم التي لا تتوقف بل تغير إيقاعها بما يناسب الجسم المسترخي ... هذا العالم يملأ جوانبه أحلام وكوابيس ورؤى حيرت عقل الإنسان منذ خطت أقدامه على سطح ذلك الكوكب العجيب – الأرض[1].

إن تتابع الصور والأحداث في المنام قد شغل العقل البشرى منذ خلق الله الإنسان ... بعضها كانت له آثار دامية امتدت حتى الآن ودرسها المتخصصون والدجالون على حد سواء .

والإنسان ليس وحده الذى يحلم ... فالحيوانات الثديية الأخرى تحلم أيضاً ... وقد ثبت أن أحلام الحيوانات لا تختلف كثيراً عن أحلام الإنسان وإن اختلف المضمون وارتبط بأحداث غريزية بحتة عند الحيوانات فالقط مثلاً يحلم بمطاردة الفئران أو البحث عن الطعام أو مطاردة الإناث يحركه فى ذلك جوع أصابه قبل أن يضطر إلى النوم أو حرمان حرك غريزته . ونفس الشيء يمكن أن يقال عن الحيوانات الأخرى ... أحلام غريزية بحتة قد تصحب تحركات فى الأطراف أو همهمات حيوانية متميزة[2].

والأحلام ظاهرة مثيرة لازمت الإنسان منذ الخليقة فأثارت فيه كوامن الخوف من المجهول ، فالحلم كظاهرة إنسانية ، يعتبر بحق ظاهرة مركبة تؤثر فيه عوامل عديدة فهو نشاط عقلى – روحانى

---

(١) العلم وتفسير الأحلام – د/ عبد الرحمن نور الدين – دار الهلال ١٩٩٠ ص ٥ .
(٢) المصدر السابق – ص ٨ .

يتأثر بعوامل نفسية وبيولوجية ، وقد انقسمت البشرية تجاه تفسير الحلم فكانت تفسره تارة بالخرافة والربط بينه وبين المجهول فتصورته رسالة من وراء الطبيعة أو بشيراً بخير أو نذيراً بشر ، وظل الحلم فى نهاية المطاف لغزاً يحير الإنسان الذى قطع شوطاً طويلاً فى استكناه أسرار الكون ووقف عاجزاً مكتوف اليدين أمام أسرار نفسه ومنها الأحلام .

وإذا كان العلم أو الدين قد تمكن كل منهما من تفسير أنواع معينة من الأحلام والرؤى فإن بعضها يظل لغزاً محيراً ومثيراً فأحلام المراهق مثلاً قد تفسر فى إطار إفراغ بعض الشحنات النفسية أو البيولوجية التى تفرزها هذه المرحلة أما أحلام الأنبياء فهى شكل من أشكال الوحى ، ولكن ماذا عن أحلام البشرية منذ الخليقة حتى الآن ؟

إن العلم لم يستطع حتى الآن أن يحدد الجزء الذى يمارس هذا النشاط من المخ البشرى ؟ وما كنهه ؟

ومتى يكون ظاهرة صحية ؟

ومتى يكون ظاهرة مرضية ؟

وهل هو نشاط لا إرادى تمامًا ؟

المدهش أن تتبع هذه الظاهرة فى تاريخنا الإنسانى يؤكد أن لها دورًا خطيرًا فى مسيرة التاريخ البشرى سلبًا وإيجابًا فهناك أمم فقدت استقلالها بسبب حلم وأمم انقذت من الهلاك بسبب حلم ، فما هو دور الروح فى دفع مسيرة التاريخ البشرى ؟

وما هو تفسير حدوث الأحلام الاستشرافية فى فترات الأزمات من حياة الشعوب ؟

لقد حاولت هذه الدراسة أن تجيب عن كل هذه الأسئلة فهى رحلة مثيرة مع ظاهرة طريفة ومحاولة لفهم هذه الظاهرة لتحويلها إلى لغة مفهومة .

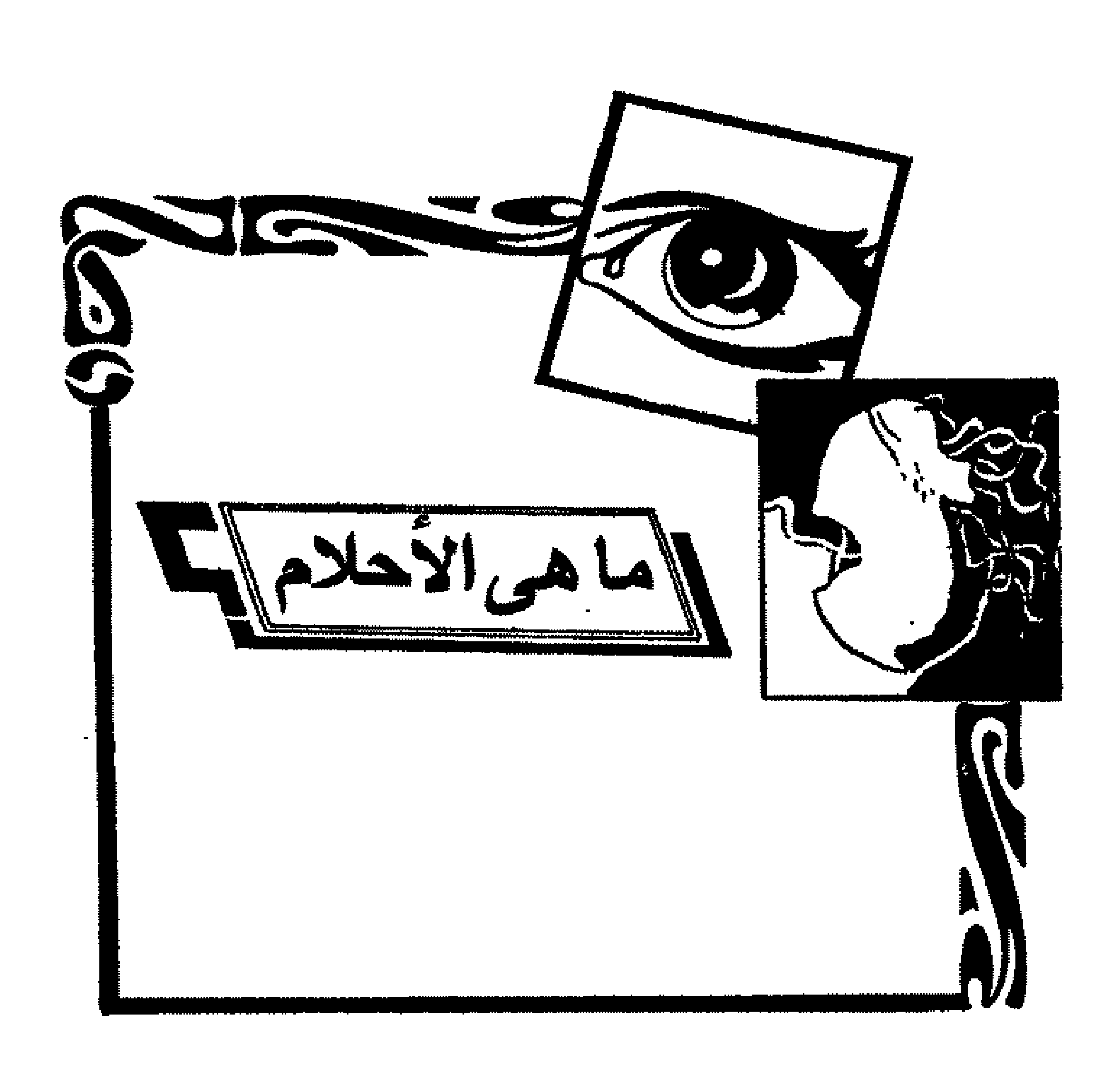
ومن الطريف أن عددًا ليس بالقليل من الكتاب والمؤلفين والمفكرين كانت لأحلامهم آثار بعيدة في مؤلفاتهم التي أصبحت مشهورة مثال ذلك القاضي الإنجليزي المعروف روبرت لويس ستيفنسون الذي حلم بقصته المعروفة : دكتور جايكل ومستر هايد بالكامل قبل كتابتها ، كذلك القاصة المعروفة شارلوت برونتي التي حلمت بكثير من قصصها وحتي الفيلسوف الفرنسي ديكارت يقول « إن نظرياته كلها كانت أساسًا أحلامًا متعاقبة تبلورت بالتدريج »[1].

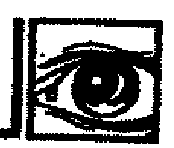
ممدوح الشيخ

فويسنا في ١٩٩٢/١/٥



(١) الحلم وتفسير الأحلام ص ٢٤ .


ما هى الأحلام



ما هى الأحلام ؟

الاهتمام بمادة الأحلام قديم قدم النفس البشرية ، بل إن الشعوب البدائية كانت تهول من أمر الأحلام وما يتراءى فيها تهويلاً لا نعهده لدي أبناء العصر الحاضر وكان القدماء على العموم يعتقدون أنهم يرون في منامهم صوراً ترد عليهم من عوالم ما فوق الطبيعة ، فالأحلام إنما هى رسائل كائنات علوية فوق مستوى البشر وتعبر عن تلك الإرادات الخارقة للطبيعة ، ولذا كانوا يهتمون بما يرونه في احلامهم ليعرفوا منه مدلولات الغيب

ومن الطريف أن بعض قبائل الإسكيمو كانوا يعتقدون أن الروح تترك الجسم أثناء النوم وتعيش في عالم آخر خاص بها وأن إيقاظ الحالم من نومه يسبب خطراً كبيراً يهدد بضياع الروح وعدم قدرتها على العودة إلى الجسم مرة أخرى .. حتى أن بعض القبائل الهندية القديمة كانت تعاقب بشدة كل من يوقظ نائماً[1].

وفى بعض الحضارات القديمة الأخرى مثل قبائل الزولو كانوا يؤمنون بأن ما يحدث فى الحلم لابد أن يتحقق .. فإذا حلم رجل بأن زوجته غير أمينة أرسلها إلى أهلها فى اليوم الثانى دون رجعة .

وإذا رأى فى منامه أنه يقتل إنساناً ... يبحث عنه حثيثاً حتى يقتله .

---

(١) الحلم وتفسير الأحلام ص ٨ .

ولم يقتصر الأمر على الحضارات القديمة بل إن بعض القبائل الكردية تعتقد نفس المعتقد فالرجل الكردى يقص حلمه على أهله صباحاً ثم يشرع فى تنفيذه مهما كانت الموانع .[1]

□ الأحلام وحى إلهى : —

كان المصريون القدماء هم أول من آمن بأن الأحلام إيحاء مقدس وكانوا يسمونها الرسل الغامضة إلى النائم للإنذار بالعقاب أو للمواساة والتعزية والتبصر وقد وجدت بعض البرديات منها بردية تدعى « بردية شستربيتى » نسبة إلى مكتشفها كتبت فى عهد الأسرة الثانية عشرة [١٩٩٠ — ١٧٨٦ قبل الميلاد] وبها تفسيرات للأحلام ومعناها كأول محاولة من نوعها فى التاريخ .

أما عند الإغريق فالأحلام دائماً رسالة من الآلهة وبصفة خاصة من كبيرهم يرسلها إلى النائم عن طريق حصن له بابان : باب النفير وتدخل منه الأحلام السعيدة الصادقة والرؤى المبشرة بالخير والبركات .

وباب العاج وتدخل منه الأحلام المرعبة والمزعجة والكوابيس التى تنذر بالسوء والدمار . والإلياذة الشهيرة تحكى قصة البطل أجا ممنون وتذكر عدة أحلام ورؤى رآها هذا البطل ورآها معه أبطال حرب طروادة المشهورون مثل أخيل وهرقل وغيرهم ، وكيف كانت لها تأثيرات مؤكدة فى مسار حصار طروادة واكتساحها بعد خدعة الحصان الشهيرة .

وفى الهند وجدت مخطوطة قديمة من القرن الخامس قبل الميلاد تدعى « أترافافيدا » تحتوى على فصل كامل عن الأحلام ورسالتها

---

(١) المصدر السابق ص ١٠ .

المرسلة من الآلهة إلى البشر كما وجد مخطوط خاص بالأحلام ودور الآلهة فى حفريات فى مدينة النجف الأشرف بالعراق يرجع تاريخها إلى عهد الإمبراطور آشور بنيبال وتذكر بالتفصيل دور الإلهام إلى البشر أثناء الأحلام[1].

□ *الحلم بين حضارتين : —*

توجد مدرستان رئيسيتان فى تفسير الأحلام — فضلاً عن تعريفها وهما المدرسة الإسلامية ، والمدرسة الغربية ولنبدأ رحلتنا مع المدرسة الأولى منهما : —

□ *المدرسة الإسلامية : —*

أخرج ابن أبى حاتم وابن مردويه عن سليم بن عامر أن عمر بن الخطاب قال : العجب كل العجب من رؤيا الرجل أنه يبيت فيرى الشيء لم يخطر له على بال فتكون رؤياه كأخذ باليد ويرى الرجل الرؤيا فلا تكون رؤياه شيئاً .

فقال على كرم الله وجهه : — أفلا أخبرك بذلك يا أمير المؤمنين ؟ يقول الله تعالى ﴿ **الله يتوفى الأنفس حين موتها والتى لم تمت فى منامها فيمسك التى قضى عليها الموت ويرسل الأخرى إلى أجل مسمى** ﴾[2] فالله تعالى يتوفى الأنفس كلها فما رأت وهى عنده سبحانه فى السماء فهى الرؤيا الصادقة ومارأت إذ أرسلت إلى أجسادها فهى الكاذبة[3].

يتضح من هذه المحاورة منطلق التصور الإسلامى فى تعريف الحلم وأنواعه وتفسيره فالرؤيا مدرك من مدارك الغيب — حسب تعبير ابن خلدون — وكما يروى كان الرسول ﷺ إذا انفتل من صلاة الغداة

---

(١) العلم وتفسير الأحلام — ص ١٢ .   (٢) الزمر : ٤٢ .
(٣) تفسير الألوسى جـ٢ ص ٤٠٩ .

يقول لأصحابه هل رأى أحد منكم الليلة رؤيا يسألهم عن ذلك ليستبشر بما وقع من ذلك مما فيه ظهور الدين وإعزازه[1].

□ *أنواع الرؤى والأحلام :*

يقسم ابن خلدون الرؤيا على النحو التالى : —

(١) رؤيا من الله .

(٢) رؤيا من الملك .

(٣) رؤيا من الشيطان .

فالرؤيا التي من الله هى الصريحة التى لا تفتقر إلى تأويل والتى من الملك هى الرؤيا الصادقة تفتقر إلى تأويل والرؤيا التى من الشيطان هى الأضغاث[2].

فإذا انتقلنا إلى تقسيم كاتب معاصر نجد خلافاً بين أقسام الحلم عنده على النحو التالى : —

(١) البشرى الصحيحة الصادقة وهى ما كان كلامها صحيحاً ودلت على معانٍ مستقيمة ووعتها الذاكرة وتكون دائماً من الله تعالى ، وتأتى بواسطة الملك — ملك الرؤيا المنامية — على صورة بشارة أو نذير مسموع أو أشياء تصور ما سيحدث بصورة واضحة مباشرة لا تحتاج إلى تأويل أو أن يكون رمزاً يؤوله المحدثون .

(٢) أضغاث الأحلام وهو حديث الشيطان وهى الأحلام التى لا يستطيع الحالم أن يتذكرها أو يستوعب حوادثها وهى غير قابلة للتأويل وفق أصول تأويل الرؤيا وهى باطلة لا اعتبار لها ولا تأويل .

(٣) حديث النفس بأقسامها الثلاثة المطمئنة واللوامة والأمارة بالسوء ورؤى هذا القسم صور انعكاسية لأفكار الإنسان وأفعاله

---

(١) ابن خلدون — المقدمة — دار القلم — بيروت — ط ٥ — ص ٤٧٥ .

(٢) المرجع السابق .

وأخلاقه فى اليقظة يحدث بها الإنسان نفسه فى مراتبها ومناطقها الثلاث فى اليقظة فيراها فى النوم بعقله الباطن فيصح بعضها وهى ما كان كلامها يحتمل معنيين متضادين أو معانٍ مختلفة واستطاع الرائى تذكر حوادثها واستيعاب أجزائها فينظر فى تأويله إلى ما هو أولى بألفاظها وأقرب من أصولها فيحمل عليه لأنها تستمد معانيها من حياة الرائى العادية[1].

وفى هذا التقسيم نلمح أثر علم النفس على نظرة صاحبه إذ يتحدث عن الأحلام كانعكاس لحياة الفرد اليومية كما يذكر العقل الباطن وهى أفكار سنتعرض لها بتفصيل أكثر عند حديثنا عن ظاهرة الأحلام فى الفكر الغربى ووجهة نظر المدرسة الغربية فى تعريفها وتفسيرها .

□ *المدرسة الغربية فى تفسير الأحلام :* —

كان **سقراط** يؤمن بقدسية الأحلام وأنها رسائل إلهية إلى البشر تحذرهم من الأخطار ، وتنذرهم من الوقوع فى الأخطاء وما يتبع ذلك من عقاب[2].

أما **أرسطو** [٣٨٤ — ٣٢٢ قبل الميلاد] فقد كان أول من حاول تفسير الأحلام[3] تفسيراً علمياً ويعد مؤسس وجهة النظر الغربية التى تعتبر الحلم حياة عقلية أثناء النوم ، يقول متحدثاً عن هذه الظاهرة « **إن الأحلام ليست رسائل ترد علينا من العالم الاخر وإنها**

---

(١) صاحب هذا التقسيم الأستاذ / أحمد الصباحى عوض الله — أحلام الأنبياء والصالحين — ص ١٦ — دار الشعب سنة ١٩٧٤ .

(٢) العلم وتفسير الأحلام — ص ١٢ . (٣) أحلام الأنبياء والصالحين — ص ١٦ .

لا تكشف لنا شيئاً عن المصادر الخارقة للطبيعة وإنما الأحلام لون من النشاط النفسي يصدر عن النائم بحسب الظروف التي يكون عليها نومه »[1].

فهي إذن تعبيرات حسية من عوامل خارجية وملامسات عضوية تتوقف داخل الجسم وتخرج منها تيارات جانبية لها نفس التعبير الحسي أثناء اليقظة ولكنها مكسرة إلى أجزاء وشراذم صغيرة نتيجة اصطدامها بالنفس البشرية والعقل البشرى لتصبح تعبيرات مشوهة للإحساسات الطبيعية الواصلة إلى الجسم أى أنها مسخ للحقيقة الموجودة فى اليقظة نتيجة بعثرتها وتكسيرها[2].

وقد أدخل أرسطو عنصر التجريب كما استفاد من التجاريب العارضة لتكوين رأى واقعى عن الأحلام ، فيذكر أن الحالم قد يتعرض لمؤثرات وهو نائم فيجسم الحلم هذه المؤثرات ويضفى عليها المبالغة والتهويل ولربما يرى النائم أنه يشوى وسط حريق ذات لهب ثم يستيقظ فإذا بطرف من أطرافه قد عرضت له السخونة لسبب من الأسباب كاقترابه من المدفأة أو حرارة المصباح[3].

ورغم وجود هذا الرأى الذى يحاول تفسير الظاهرة تفسيراً علمياً فإن الأحلام عند الإغريق — وفى عهد هؤلاء الفلاسفة — تحولت إلى شكل من أشكال التنبوء وخلطت فى معابد خاصة بوسائل أخرى للتنبؤ مثل استعمال القرابين بواسطة الحيوانات المختلفة وما قد تعطيه من وحى يغير الطريق أمام الإنسان ... فكان المرضى والمعوقون يتجمعون فى أماكن مقدسة خاصة ليناموا ويحلموا تحت إشراف الكهنة

---

(١) المصدر السابق ص ١٦ .

(٢) العلم وتفسير الأحلام ص ١٢ .

(٣) فرويد يفسر لك أحلامك — د/ لطفى لوقا — مكتبة غريب — ص ٧ ، وأحلام الأنبياء والصالحين ص ١٧ .

والكاهنات ، بعد عمل صلوات خاصة وتقديم القرابين اللازمة ثم النوم فى انتظار حلم يزورنهم الآلهة فيه ويجلبون لهم الشفاء[1].

ويذكر **هيرودوت** أن اليونان وبلاد الإغريق كانت تحوى — فى وقت من الأوقات — على حوالى ٦٠٠ معبد مخصص للأحلام وتلمس الشفاء عن طريقها[2].

وانتقلت الأحلام من معابد الإغريق إلى مجال اهتمام علماء النفس والأطباء والفلاسفة مما أدى إلى ظهور وجهات نظر مختلفة اختلفت باختلاف زاوية نظر كل فريق وطبيعة كل باحث؛ فعلماء النفس يعتبرون أحلام اليقظة وأحلام النوم وظائف سيكولوجية متعلقة بوظيفة التخيل تحدث فى الأغلب عند سكون الحواس والعقل ، يقول **دى لاكراو** : إن أحلام اليقظة وأحلام النوم تحدث فى حالات خاصة يضعف فيها نشاط العقل والحواس كما يحدث أثناء النوم .

ويقول **دوجا** : إن التخيل على العموم لا المستعيد فقط وإنما المبتكر أيضاً يكون أتم فعلاً أثناء توقف الوظائف العقلية الأخرى وفى هذا المعنى يقول **برجسون** : لكى نستعيد الماضى فى شكل صورة خيالية يجب أن نكون قادرين على تخليص أنفسنا من أفعال اللحظة التى نحن فيها[3].

فإذا انتقلنا إلى علماء وظائف الأعضاء وجدنا أحدهم وهو **بورداخ** يقول : — « إن الحلم ليس تكريراً لما يمر بنا فى اليقظة من خير أو شر أو متعة أو تقزز بل العكس هو الصحيح فالأرجح أن

---

(١) العلم وتفسير الأحلام ص ١٢ .

(٢) المرجع السابق ص ١٢ .

(٣) الإدراك الحسى عند ابن سينا/ بحث فى علم النفس عند العرب/ دار المعارف بمصر — مكتبة الدراسات الفلسفية — ١٩٦١ — ط ٢ — د/ عثمان نجاتى — ص ٢١١ ، ٢١٢ .

الحلم يرمى إلى تفريغ عقلنا من كل هذه الانطباعات كى يوفر لنا الراحة من عبء شحنات اليقظة بما فيها من خير وشر »[1].

ويكاد **بورداخ** ينفرد برأيه هذا إذ نصادف بعد ذلك فى آراء العلماء وجهة نظر مخالفة ، فالحلم حسب رأى **هافير** إن هو إلا استئناف على نحو ما لحياة اليقظة وإذا تأملنا وجدنا أن هناك باستمرار صلة بينهما وبين الأمور التى كانت تشغل تفكيرنا قبل النوم ، ومهما خفيت تلك الصلة فالملاحظة الدقيقة تستطيع أن تدلنا على اتصال ولو دقيق بين ما رأيناه فى الحلم وما وقع فى النهار السابق .

وفى إطار نفس وجهة النظر يقول **فيجانت** : إن الحلم لا يبعد عن الواقع بل هو على العكس يعود بنا ونحن نيام إلى ما ابتعدنا عنه من شواغل اليقظة[2].

وقد شارك الفلاسفة منذ أرسطو فى تفسير هذه الظاهرة وسنحاول خلال سطور قليلة التعرف على أهم آرائهم لأن تقصى آرائهم لا يتسع له المقام ، يقول الفيلسوف [**ى . ناص**] : إننا فى الغالب ندور فى أحلامنا حول الموضوعات التى كان لها أكبر الأثر فى وجداننا ، وهذا يدل على أن مشاعرنا لها دخل كبير فى خلق أحلامنا فمن كان طموحًا دارت أحلامه حول أكاليل الغار ومن كان عاشقاً دارت أحلامه حول من يحب[3].

بينما يعتبر **ديكارت** أن لا إرادية الحلم تستلزم نظرة مختلفة فى النظر إليه إذ يقول : — إن الذاكرة الإنسانية لا يمكنها أن تصل الأحلام بعضها بالبعض أو تربطها بإيقاع حياتنا ونحن فى اليقظة مما يعطيها التميز المطلق الذى يستحق اعتبارها ذاكرة منفصلة[4].

---

(١) فرويد يفسر لك أحلامك — ص ٨ .
(٢) فرويد يفسر لك أحلامك — ص ٨ .
(٣) فرويد يفسر لك أحلامك — ص ٩ ، أحلام الأنبياء والصالحين ص ١٧ .
(٤) العلم وتفسير الأحلام — ص ٦ .

أما **برتراندراسل** فيقول : — إنه يمكن — بشكل واضح وشبه مؤكد أن ما نسميه فترة اليقظة التى نحياها طوال نهارنا ما هى إلا نوع من الأحلام أو الكابوس المستمر قد نصحو منه فى وقت من الأوقات[1].

وإذا كان الفلاسفة يركزون على كنه الحلم وفلسفته وصلته بالواقع اليومى فإن للأطباء وجهة نظر وزاوية معالجة مختلفة ، يقول الطبيب الأمريكى **إسربيسكى** : إن الحلم هو شيء ما يقظ وحى ، نوع من الحياة.الثانية تمارس حيويتها بشكل مختلف أى أن الحلم حالة من الحياة أشبه بحياتنا فى حال اليقظة ومختلفة تماماً عن حالة النوم التى تبطىء بالفعل كل نشاطنا الذهنى[2].

ويفصل الأستاذ الدكتور سعيد عبده الأستاذ بجامعة القاهرة هذا الإجمال بقوله : — إن أحلام كل منا هى مزيج من تجاربه وتخيلاته ومن مشاهداته وذكرياته ومن معارفه وانطباعاته فى الحاضر والماضى ، وفى يومه القريب وأمسه البعيد . إن مخ كل منا يطبخ هذا المزيج بطريقته الخاصة ، ويصنع منها تهاويل ألوف من الأحلام تصطبغ بالألوان المستمدة من شخصية صاحبها ونصيبه من القلق أو السكينة ومن الاضطراب أو الاستقرار ، والشيء الذى لا يستطيع المخ أن يصنعه هو أن يقدم لصاحبه وجبة أحلام مصنوعة من الهواء الهباء .

وبعبارة أخرى نحن نستمد أحلامنا من الحساب الجارى المفتوح لنا فى بنك التجارب والذكريات ولا يمكن أن نسحب من هذا الحساب إذا لم يكن فيه رصيد ، كما لا يمكن السحب منها اعتماداً على رصيد سيوضع فيه بعد عدة شهور ، لأن المخ ليس فيه بنك للرهونات .

---

(١) الحلم وتفسير الأحلام — ص ٦ : (٢) أحلام الأنبياء والصالحين ص ١٧ .

ولعل هذا بعض السبب فى أن رجال التربية يشفقون على الأطفال من مشاهدة روايات القتل واللصوصية المرعبة والحوادث المزعجة والإباحية السافرة ، ولاسيما قبل النوم خوفاً من أن تدخل هذه المفردات الرهيبة فى تركيب الكعك الذى يصنع منه الرؤى والأحلام ، فتتحول الكعكة إلى كابوس مخيف أو إلى فعل علنى فاضح يعاقب عليه القانون .

ويرى الدكتور أحمد وجدى وكيل وزارة الصحة أن ظاهرة الأحلام النفسية تعتبر تنفيساً عما يدور فى العقل الباطن من صور وآمال تشغل بال من يفكر فيها وتحول ظروفه المادية أو الاجتماعية دون تحقيقها فى عالم اليقظة ، وعندما يخلد الإنسان إلى النوم تتفاعل هذه الصورة فى عقله الباطن فيترجمها إلى مشاعر وأحاسيس أشبه بفيلم سينمائى يحفل بالعديد من القصص والأحداث المعقولة وغير المعقولة ، فالكبت والحرمان والاضطهاد والشعور بالظلم والإحساس بالشقاء والتعاسة والفوارق الطبقية وغير ذلك من الأحاسيس التى تتمكن فى نفس الإنسان والآمال التى يعجز عن تحقيقها لظروف اجتماعية أو مادية يجسمها العقل الباطن ويعرضها فيلماً منظماً أو غير منظم وتنطبع فى ذاكرته انطباعاً شديداً ، وعلى هذا فالتفسير العلمى للأحلام هو أن الإنسان يختزن لا إرادياً كل ما يدور فى عقله الباطن عقب الاستماع إلى القصص أو قراءة ما تعرضه الصحف من أحداث وحوادث وقصص يستوعبها العقل الباطن بكل فهم وإدراك ويستعرضها بعد ذلك فى أحلامه ومن بين هذه الأحلام ما يتصادف وقوعها فى دنيانا لأنها لا تختلف عن طبيعة الناس ومنطق الحوادث[1].

---

(١) أحلام الأنبياء والصالحين – ص ١٧ – ١٨ .



كيف نفسر أحلامنا ؟



كيف نفسر أحلامنا ؟

لم يختلف البشر منذ عرفت البشرية ظاهرة الحلم فى أنه يرمز إلى معان ويحمل دلالات تتجاوز مجرد الحلم ، ولم يكن الانطباع الشخصى ليكفى تفسيراً لهذه الظاهرة فبحث الإنسان عن وسائل لتفسير الأحلام وكما اختلف البشر فى تعريف الحلم اختلفوا فى تفسيره .

ويعتبر أول من كتب مخطوطاً عن تفسير الأحلام بطريقة منظمة ومرتبة عالم جغراف يدعى **أرطميدورس** عاش فى القرن الثانى قبل الميلاد[1].

وقد ميز **أرطميدورس** بين خمسة أنواع من الأحلام : —

(١) أحلام رمزية مثل حلم فرعون عن البقرات والسنابل .

(٢) أحلام غيبية أو كشفية وهى الرؤى .

(٣) أحلام خيالية لتحقيق الرغبات الجنسية أو العاطفية أو المالية .

(٤) الكوابيس أو الأحلام المفزعة .

(٥) الهلاوس النهارية التى تسبق النوم[2].

وسوف ننتقل نقلة تاريخية تتجاوز السياق التاريخى لنصل إلى المدرسة الإسلامية فى التفسير وقد عرضنا فى الفصل السابق لنظريات تفسير الأحلام فى الفكر الغربى ، فكما يقول **ابن خلدون** مؤرخاً

---

(١) حقق الأستاذ الدكتور عبد المنعم الحفنى هذه المخطوطة ونشرها هذا العام .

(٢) العلم وتفسير الأحلام — ص ٧٠ .

لظاهرة تفسير الأحلام : — هذا العلم من العلوم الشرعية وهو حادث فى الملة عندما صارت العلوم صنائع وكتب الناس فيها وأما الرؤيا والتعبير لها فقد كان موجوداً فى السلف كما هو فى الخلف وربما كان فى الملوك والأمم من قبل إلا أنه لم يصل إلينا للاكتفاء فيه بكلام المعبرين من أهل الإسلام[1].

واكتفاء بكلام المعبرين من أهل الإسلام — إذ يزخر التراث الإسلامى بإبداعات فى تفسير الأحلام ممتعة ، — نبدأ بوسائل تعبير الأحلام وهى : —

(١) التأويل بالقرآن الكريم والسنة النبوية إن وجد فيها شاهد للرؤيا .

(٢) التأويل باللفظ الصريح كرؤيا الأنبياء والصالحين .

(٣) التأويل بالأسماء .

(٤) التأويل بالمثل السائد .

(٥) التأويل بالفراسة[2].

وكان كثير من السلف الصالح لهم فضل كبير فى وضع أسس محددة لتفسير الأحلام ظلت سارية حتى الآن[3].

ومن هؤلاء من قسّم الأحلام إلى نوعين :—

(١) أحلام إلهامية مرتبطة بالعواطف والتركيب النفسى والإيمانى .

---

(١) ابن خلدون — المقدمة — ط ٥ دار القلم بيروت ص ٤٧٥ .

(٢) أحلام الأنبياء والصالحين — ص ١٦ .

(٣) العلم وتفسير الأحلام ص ٧١ بتصرف .

(٢) أحلام عضوية مرتبطة بعضهم بالحالة العضوية كالمرض والصحة[1].

وستتعرف على منهج بعضهم فى التفسير من خلال أحلام قام بتفسيرها :—

(١) جاء رجل إلى أحدهم فقال : رأيت فى أذن امرأتى حلقة فقال له : لعلك طلقتها طلقتين وبقيت على ثالثة .

فقال : نعم هى كذلك .

(٢) وجاءه رجل فقال : رأيت كأنى أشرب من قلة لها رأسان : رأس عذب ورأس أجاج .

فقال له : لك امرأة ولها أخت وأنت تراود أختها عن نفسها ، فاتق الله تعالى .

قال : صدقت وأشهدك على أنى تبت إلى الله تعالى .

(٣) وجاءه رجل آخر فقال : رأيت أنى أشق بيضاً من رؤوسها فآخذ بياضها وأترك صفارها .

فقال له : إنك تنبش قبور الموتى وتسرق أكفانهم فاتق الله .

فقال الرجل : أشهدك أنى تبت إلى الله ولا أعود لذلك .

(٤) جاء رجل إلى أحدهم فقال : رأيت كأنى أؤذن . فقال : تحج .

وجاءه رجل فقال : رأيت كأنى أؤذن .

فقال له : تقطع يدك .

فقيل له كيف فرقت بينهما ؟

قال : رأيت للأول سيماً حسنة فأولت ﴿ وأذن فى الناس

(١) السابق ص ٧٢ بتصرف .

بالحج ﴾ ورأيت للثانى سيماً غير صالحة فأولت ﴿ أذن مؤذن أيتها العير إنكم لسارقون ﴾ .

(٥) جاءت امرأة تسأل فقالت : إنى رأيت رؤيا – وكان جالساً للغذاء – فقال لها : تتركينى آكل أم أترك الأكل وأعبر رؤياك ؟
فقالت : كُل ، فأكل ثم قال لها : قُصّى . فقالت : رأيت القمر يدخل فى الثريا ومناديًا ينادى من خلفى : أن أتوجه إليك وأقص عليك ما رأيت .

فلفظ يده من الطعام وقال لها : ويلك ! وكيف رأيت ؟ فأعادت عليه فتغير لونه وأخذ يمسك بطنه .

فقالت له أخته : مالك يا أخى ؟
قال : زعمت هذه المرأة أنى ميت بعد سبعة أيام،فدفن فى اليوم السابع .
ورحل تاركاً تراثاً يندر تكراره حول الحلم ، ذلك الخاطر الجميل أحياناً ، المزعج أحياناً أخرى .




أشهر المفسرين
فى التاريخ ...



أشهر المفسرين فى التاريخ

□ (١) أرطميدروس :

عند الحديث عن أشهر المفسرين فلابد من الحديث عن أرطميدروس الأب الروحى لتفسير الأحلام وأول من وضع أسساً محددة لتفسير الأحلام .

وأرطميدروس هو جغراف عاش فى القرن الثانى قبل الميلاد ... قام برحلات متعددة وزار مراكز الأحلام فى عدة بلدان وتشاور مع عدد كبير من المفسرين ، وجمع كل المخطوطات القديمة عن تفسير الأحلام ثم كتب كتابه « **أنيوروكريتيكا** » أى تفسير الأحلام مقدماً نظاماً دقيقاً لتقسيم الأحلام وأنواعها وتفسيراتها لا تختلف كثيراً عما هو سار حتى الآن .

وميز **أرطميدروس** بين نوعين أساسيين من الأحلام وفقاً لمصادرها ، تلك التى تتأثر بالحالة الصحية للجسم وما يحيط من بيئة .. وتلك التى لها صفة التنبؤ والجلاء للمستقبل .

وأصر على أن تفسير الحلم يختلف من شخص لآخر ولذلك يجب ألا يفسر بشكل عام[1] إلا بعد بحث حالة الحالم نفسه الصحية والعصبية والمادية[2].

□ (٢) شق وسطيح :

آثرت ذكر هذين المفسرين فى سياق واحد لأنهما متعاصران

---

(١) لاحظ التشابه بين هذا المبدأ وأسلوب التفسير بالسيما عند المسلمين وتطبيقها عند ابن سيرين .

(٢) العلم وتفسير الأحلام ص ٧٠ بتصرف .

وكان بينهما صلة ، أما شق فهو ربيع بن ربيعة بن مسعود وينتهى نسبه إلى غسان ، وأما سطيح فهو بن صعب بن يشكر وينتهى نسبه إلى نزار وهو كما يصفه ابن كثير مثل السطيحة ووجهه فى صدره وكان إذا غضب انتفخ وجلس[1]، أما المسعودى فيصفه بقوله « كان يدرج سائر جسده كما يدرج الثوب ، لا عظم فيه إلا جمجمة الرأس وكانت إذا لمست باليد يلين عظمها »[2].

أما شق فيقال إنه كان نصف إنسان ويقال إن خالد بن عبد الله القسرى كان سلالته ، وقد جمع كل منهما الكهانة إلى جانب تفسير الأحلام ولهما مع ملك اليمن ربيعة بن نصر قصة سنذكرها فى حينها .

□ (٣) *الشهاب العابر* : —

هذا اللقب يحمله مفسر عظيم مجهول تحدث عنه الإمام ابن القيم فى كتابه « زاد المعاد » ونقل عنه بعض الأحلام التى فسرها وتدل على فراسة شديدة وعلم بتفسير الأحلام واسع ، أما المفسر فهو أبو العباس أحمد بن عبد الرحيم بن عبد المنعم بن نعمة بن سرور المقدسى ، أما لماذا نقل عنه ابن قيم الجوزية فلذلك قصة !!!

روى الشيخان عن ابن عباس قال : قدم مسيلمة الكذاب على عهد رسول الله ﷺ المدينة فجعل يقول : إن جعل لى محمد الأمر من بعده تبعته ، وقدمها فى بشر كثير من قومه فأقبل النبى ﷺ ومعه ثابت بن قيس ابن شماس وفى يد النبى ﷺ قطعة جريد حتى وقف على مسيلمة فى أصحابه فقال : « **إن سألتنى هذه القطعة ما أعطيتكها ولن تعدو أمر الله فيك** ،

---

(١) البداية والنهاية لابن كثير – دار الفكر العربى جـ٢ – ص ١٦٢ .

(٢) مروج الذهب للمسعودى – دار المعرفة – بيروت ١٩٨٣ – جـ ٢ – ص ١٧٩ .

ولئن أدبرت ليعقرنك الله وإنى أراك الذى أريتُ فيه ما رأيت وهذا ثابت ابن قيس يجيبك عنى » ثم انصرف .

قال ابن عباس : فسألت عن قول النبى ﷺ : « إنى أراك الذى أريت فيه ما رأيت » .

فأخبرنى أبو هريرة أن النبى ﷺ قال : بينا أنا نائم رأيت فى يدى سوارين من ذهب ، فأهمنى أمرهما ، فأوحى إلى فى المنام أن أنفخهما ، فنفختهما فطارا .

فأولتهما كذابين يخرجان من بعدى فهذان هما ، أحدهما صاحب صنعاء والآخر مسيلمة الكذاب صاحب اليمامة .

ويعقب ابن قيم الجوزية على ذلك فيقول : ومن هٰهنا دل لباس الحلى للرجل على نكد يلحقه وهم يناله ، وأنبأنى أبو العباس المقدسى المعروف « بالشهاب العابر » قال : — قال لى رجل : رأيت فى رجلى خلخالاً فقلت له : تتخلخل رجلك بألم ، فكان كما قال .

وقال لى آخر : رأيت كأن فى أنفى حلقة ذهب فيها حب مليح أحمر .

فقلت له : يقع بك رعاف شديد ، فجرى كذلك .

وقال آخر : رأيتُ كُلاباً معلقة فى شفتى ، قلت : يقع بك ألم يحتاج إلى الفصد فى شفتك ، فجرى كذلك .

وقال لى آخر : رأيت فى يدى سواراً والناس يبصرونه .

فقلت له : سوء يبصره الناس فى يدك ، فعن قليل طلع فى يده طلوع .

ورأى ذلك آخر لم يكن يبصره الناس [أى رأى فى منامه أنه

يلبس سواراً ولم يبصره الناس] .
فقلت له تتزوج امرأة حسنة وتكون رقيقة .

يقول ابن قيم الجوزية معلقاً على هذه المفارقة فى تفسير حلمين متشابهين : عبر له السوار بالمرأة لما أخفاه وستره عن الناس ، ووصفها بالحسن لحسن منظر الذهب وبهجته وبالرقة لشكل السوار ، والحلية للرجال تنصرف على وجوه فربما دلت على تزويج العزاب لأنها من آلات التزويج ، وربما دلت على الغناء وعلى البنات وعلى الجهاز وذلك بحسب حال الرائى وما يليق به .

يقول أبو العباس : قال لى رجل : رأيت كأن فى يدى سواراً منفوخاً ، لا يراه الناس .

فقلت له : عندك امرأة بها مرض الاستسقاء .

ويعقب ابن قيم الجوزية على فراسته فيقول : فتأمل كيف عبر له السوار بالمرأة ثم حكم عليها بالمرض لصفرة السوار ، وأنه مرض الاستسقاء الذى ينتفخ معه البطن .

وقال آخر : رأيت فى يدى خلخالاً وقد أمسكه آخر وأنا ممسك له وأصيح عليه وأقول : اترك خلخالى فتركه ، فقلت له : فكان الخلخال فى يدك أملس؟

قال : بل كان خشناً تألمت منه مرة بعد مرة وفيه شراريف .

فقلت له : أمك وخالك شريفان ولست بشريف ، واسمك عبد القاهر وخالك لسانه نجس ردىء يتكلم فى عرضك ويأخذ مما فى يدك .

قال : نعم .

قلت : ثم إنه يقع فى يد ظالم متعد ويحتمى بك فتشد منه وتقول : خل خالى فجرى ذلك عن قليل .

أعتقد أن القارىء الكريم يشارك ابن قيم الجوزية إعجابه بهذا المفسر إذ يقول : تأمل أخذه الخال من لفظ الخلخال ثم عاد إلى اللفظ بتمامه حتى أخذ منه [خلِّ خالى] وأخذ شرفه من شراريف الخلخال ، ودل على شرف أمه إذ هى شقيقة خاله ، وحكم عليه بأنه ليس بشريف إذ شرفات الخال الدالة على الشرف اشتقاقاً هى فى أمر خارج عن ذاته ، واستدل على أن لسان خاله ردىء يتكلم فى عرضه بالألم الذى حصل بخشونة الخلخال مرة بعد مرة ، فهى خشونة لسان خاله فى حقه ، واستدل على أخذ خاله ما فى يديه بتأذيه به وبأخذه من يديه فى النوم بخشونته ، واستدل بإمساك الأجنبى للخلخال ومجاذبة الرائى عليه على وقوع الخال فى يد ظالم متعد يطلب منه ما ليس له ، واستدل بصياحه على المجاذب له وقوله : خلِّ خالى على أنه يعين خاله على ظالمه ويشد منه ، واستدل على قهره لذلك المجاذب له وأنه القاهر يده عليه على أنه اسمه عبد القاهر .

ويختم ابن قيم الجوزية حديثه عن هذا الرجل بقوله : وهذه كانت حال شيخنا هذا ورسوخه فى علم التعبير ، وسمعت عليه عدة أجزاء

ولم يتفق لى قراءة هذا العلم عليه لصغر السن واخترام المنية له رحمه الله تعالى[1].

لاشك أنها شهادة عظيمة القدر لهذا المفسر غير المشهور والذى يتحدث عنه ابن قيم الجوزية بلغة ملؤها الإجلال فهو « شيخنا » وهو متصف بالرسوخ فى علم التعبير .

□ *ابن سيرين :* —

هو الإمام محمد بن سيرين عاش فى القرن الثامن الميلادى وألف

(١) زاد المعاد — جـ ٣ — ص ٣٢ — ٣٣ بتصرف كبير — المكتبة التوفيقية .

أول كتاب باللغة العربية سماه « تعبير الرؤيا » ظل حجة فى مجال التفسير للأحلام .

والطريف أن ابن سيرين وُهب هذه القدرة على التفسير فى حلم رآه فيروى أنه قال : رأيت فى المنام كأنى دخلت الجامع فإذا بمشايخ ثلاثة وشاب حسن الوجه إلى جانبهم ، فقلت للشاب : من أنت يرحمك الله ؟

فقال : أنا يوسف .

فقلت : فهذه المشيخة . ومن هؤلاء ؟

قال : آبائى إبراهيم وإسحاق ويعقوب .

فقلت : علمنى مما علمك الله .

قال ابن سيرين : ففتح فاه ثم قال : انظر ماذا ترى ؟

قلت : لهاتك ، ثم فتح فاه فقال : انظر ماذا ترى ؟

قلت : أرى قلبك .

فقال : عبر ولا تخف .

فأصبحت وما قصت علىّ رؤيا إلا وكأنى أنظر إليها فى كفى[1].

ويروى أن امرأة جاءته وكان جالساً للغداء فقالت : إنى رأيت رؤيا ، فقال لها : تتركينى آكل أم أترك الأكل وأعبر رؤياك ؟

قالت : كُلْ ، فأكل ثم قال لها : قُصِّى .

فقالت : رأيت القمر يدخل فى الثريا ومنادياً ينادى من خلفى : توجهى إلى ابن سيرين وقصى رؤياك ... فلفظ يده من الطعام وقال لها : ويلك وكيف رأيت ؟ فأعادت عليه فتغير لونه وأخذ يمسك بطنه ، فقالت له أخته : مالك يا أخى ؟

---

(١) أحلام الأنبياء والصالحين ص ٤٤ – بتصرف .

قال : زعمت هذه المرأة أني ميت بعد سبعة أيام ، فدفن فى اليوم السابع .

وهكذا عرف ابن سيرين تفسير الأحلام بعد حلم رآه ، واستشرف موته بعد حلم فسره ، وارتبط اسمه فى تاريخ الفكر الإسلامى بالأحلام كواحد من أشهر مفسرى الأحلام .

☐ سيجموند فرويد :

عالم نفسى نمسوى شهير ولد فى ٦ / ٥ / ١٨٥٦ بمدينة فرايبورغ بمقاطعة موارفيا ، وفى عام ١٩٠٠ أصدر كتابه تفسير الأحلام إلا أنه سلك فيه مسلكاً غريباً وشاذاً يهدم الأخلاق والفضائل .. حيث نظر للأحلام على أنها غرائز جنسية مكبوتة .. ولا غرو فى ذلك ، فتلك سياسة اليهود ، وهو أحدهم !!

☐ مفسرون آخرون :

لاشك أن أعظم من وهب القدرة على تأويل الأحلام هو رسولنا ﷺ وسيأتى الكلام عن ذلك فى فصل لاحق ، كما ثبت بالقرآن ذلك عن نبى الله يوسف ﷺ وجاء فى الصحيح مثله عن أبى بكر الصديق رضى الله عنه ، وهناك كثير من المعبرين ستصادفهم فى هذه الدراسة لا تتجاوز المعلومات الموجودة عنهم عدة سطور فى مراجع متفرقة ، منهم فى التاريخ العربى على سبيل المثال ، طريفة الخير الكاهنة اليمنة ، وورقة بن نوفل وزرقاء اليمامة وكثيرون فى زوايا النسيان .



قبل أن نبدأ رحلتنا

نتزود بهديه ﷺ في التعامل مع هذه الظاهرة في اختصار شديد : —

قال ﷺ : « الرؤيا الصالحة من الله والنفث من الشيطان ، فمن رأى رؤيا يكره منها شيئاً فلينفث عن يساره ثلاثاً وليتعوذ بالله من الشيطان فإنها لا تضره ولا يخبر بها أحداً وإن رأى رؤيا حسنة فليستبشر ولا يخبر بها إلا من يحب »[1].

وقال :« الرؤيا على رجل طائر ما لم تعبر فإذا عبرت وقعت ، ولا يقصها إلا على واد أو ذى رأى »[2].

وقال : « من عُرضت عليه رؤيا فليقل لمن عرضه عليه خيراً »[3].



(١) رواه البخارى ٣٤٤/١٢ .

(٢) ذكره الحافظ فى الفتح ٣٧٧/١٢ .

(٣) زاد المعاد – جـ ٥ ص ٤٥٩ – دار الرسالة .



الأحلام فى حياة سيد الأنبياء

الأحلام في حياة سيد الأنبياء

للأحلام في حياة نبي الإسلام شأن ، وأي شأن !!

فيروى ابن هشام عن أم المؤمنين ، عائشة رضى الله عنها : — أول ما بدىء به رسول الله ﷺ من النبوة حين أراد الله كرامته ورحمة العباد به ، الرؤيا الصادقة ، لا يرى رسول الله ﷺ رؤيا إلا جاءت كفلق الصبح[1].

ويروى أن الرسول ﷺ قبل أن يولد بُشرت أمه به في رؤيا ، يقول ابن هشام : — ويزعمون — فيما يتحدث الناس — والله أعلم — أن آمنة بنت وهب أم الرسول كانت تحدث أنها أُتيت حين حملت برسول الله فقيل لها : إنك حملت بسيد هذه الأمة ، فإذا وقع إلى الأرض فقولي : أعيذه بالواحد من شر كل حاسد ، ثم سميه محمداً .

ورأت حين حملت به ، أنه خرج منها نور رأت به قصور بصرى من أرض الشام[2].

□ رؤيا الأذان :

ولعل من أروع مظاهر سمو أرواح صحابته رضوان الله عليهم ، واقتباسهم من صفائه وقربه من الله ، ما حدث في رؤيا الأذان ، يقول ابن هشام : فلما اطمأن رسول الله ﷺ بالمدينة ، واجتمع إليه إخوانه من المهاجرين واجتمع أمر الأنصار واستحكم أمر الإسلام ،

---

(١) السيرة لابن هشام — جـ١ — ص ٢٤٠ — ٢٤١ — المكتبة التوفيقية .

(٢) المرجع السابق — ص ١٦٤ .

فقامت الصلاة وفرضت الزكاة والصيام ، وقامت الحدود ، وفرض الحلال والحرام ، وتبوأ الإسلام بين أظهرهم ، وكان هذا الحى من الأنصار هم الذين تبوءوا الدار والإيمان ، وقد كان رسول الله حين قدمها إنما يجتمع الناس إليه للصلاة لحين مواقيتها بغير دعوة فهمّ رسول الله أن يجعل بوقاً كبوق اليهود الذين يدعون به لصلاتهم ، ثم كرهه ، ثم أمر بالناقوس فنحت ليضرب به للمسلمين للصلاة .

وبينما هم كذلك إذ رأى عبد الله بن زيد النداء ، فأتى رسول الله فقال : يا رسول الله إنه طاف بى هذه الليلة طائف : مر بى رجل عليه ثوبان أخضران يحمل ناقوساً فى يده ، فقلت : يا عبد الله أتبيع هذا الناقوس ؟

قال : وما تصنع به ؟

قال : قلت : ندعو به للصلاة .

قال : أفلا أدلك على خير من ذلك ؟

قال : قلت : وما هو ؟

قال : تقول :

الله أكبر الله أكبر الله أكبر الله أكبر

أشهد أن لا إله إلا الله أشهد أن لا إله إلا الله

أشهد أن محمداً رسول الله أشهد أن محمداً رسول الله

حى على الصلاة حى على الصلاة

حى على الفلاح حى على الفلاح

الله أكبر الله أكبر لا إله إلا الله

فلما أخبر بها رسول الله قال : « إنها لرؤيا حق إن شاء الله ، فقم مع بلال فألقها عليه فيؤذن بها ، فإنه أندى منك صوتاً » ، فلما أذن بها بلال سمعها عمر بن الخطاب وهو فى بيته فخرج إلى

رسول الله وهو يجر رداءه وهو يقول : يا نبى الله والذى بعثك بالحق ، لقد رأيت مثل الذى رأى ، فقال ﷺ : « فلله الحمد على ذلك »[1].

□ رؤيا تنبىء بهزيمة :

قصة غزوة بدر معروفة مشهورة ، غير أن أحد فصولها لم ينل القدر الكافى من الانتشار والذيوع ، يقول ابن إسحاق : لما سمع رسول الله ﷺ بأبى سفيان مقبلاً من الشام ، ندب المسلمين إليهم وقال هذه عير قريش فيها أموالهم فاخرجوا إليها ، وكان أبو سفيان حين دنا من الحجاز يتحسس الأخبار ويسأل من لقى من الركبان ، حتى أصاب خبراً من بعض الركبان ، أن محمداً قد استنفر أصحابه لك .

فاستأجر ضمضم بن عمرو الغفارى فبعثه إلى مكة ليستنفر أهلها ، ويخبرهم أن محمداً قد عرض له ، إلى هذا الحد لا جديد فى أمر هذه الغزوة ، ولكن الجديد هو ما يرويه ابن اسحاق إذ يقول :

قبل قدوم ضمضم مكة بثلاث ليال ، رأت عاتكة بنت عبد المطلب رؤيا أفزعتها ، فبعثت إلى أخيها العباس فقالت له : يا أخى ، والله لقد رأيت رؤيا أفزعتنى ، وتخوفت أن يدخل على قومك منها شر ومصيبة ، فاكتم عنى ما أحدثك به .

فقال لها : وما رأيت ؟

قالت : رأيت راكباً أقبل على بعير له حتى وقف بالأبطح ثم صرخ بأعلى صوته : ألا انفروا يا لغدر مصارعكم فى ثلاث ، فأوى الناس اجتمعوا إليه ثم دخل المسجد والناس يتبعونه ، فبيناهم حوله قام به بعيره على ظهر الكعبة ، صرخ بمثلها ، ألا انفروا يا لغدر مصارعكم فى ثلاث ، ثم قام به بعيره على رأس أبى قبيس فصرخ بمثلها ، ثم أخذ

(١) السيرة لابن هشام — جـ ١ ص ٩٣ — ٩٤ .

صخرة فألقاها فأقبلت تهوى حتى إذا كانت بأسفل الجبل تفتتت فما بقى بيت من بيوت مكة ولا دار إلا دخلتها منها فلقة .

قال العباس : والله إن هذه لرؤيا فاكتميها .

وتأتى أطرف فصول الحكاية عندما يبوح العباس بأمر الرؤيا لصديقه الوليد بن عتبة على أن يكتمها فذكرها الوليد لأبيه ، فكانت تلك بداية انتشار الخبر فى شعاب مكة كلها ، وكان لأبى جهل رد على هذا الأمر هو مزيج من الحقد والغيظ والطرافة !!

نعم الطرافة ..

فقد استدعى العباس بعد أن طاف بالكعبة وقال له : يا بنى عبد المطلب ، متى حدثت فيكم هذه النبية ؟

قال العباس : وماذاك ؟

قال أبو جهل : تلك الرؤيا التى رأت عاتكة ، أما رضيتم أن يتنبأ رجالكم حتى يتنبأ نساؤكم ؟ قد زعمت عاتكة فى رؤياها أنه قال : انفروا فى ثلاث فسنتربص بكم هذه الثلاث فإن مضت ولم يكن شىء ، نكتب عليكم كتاباً أنكم أكذب بيت فى العرب !!!

وغدا العباس إلى المسجد فى اليوم الثالث يتربص بأبى جهل أن يعود إلى حديثه عن آل عبد المطلب ليدرك ما فاته فى المرة السابقة ، وكان أبو جهل مرهف السمع ، فسمع ما لم يسمعه العباس ، وهو صوت النذير يصرخ فأخرسه .

وبذلك تحققت الرؤيا[1].

□ *الرسول يرى عذاب عصاة الأمة :*

عن سمرة بن جندب رضى الله عنه قال : كان النبى ﷺ يكثر أن يقول لأصحابه : هل رأى أحد منكم من رؤيا ؟ قال : فيقص عليه

---

(١) ابن هشام جـ ١ ص ١٨٠ – ١٨٢ بتصرف كبير .

من شاء الله أن يقص ، وإنه قال ذات غداة : وإنى أتانى الليلة آتيان ، إنهما ابتعثانى وإنهما قالا لى انطلق وإنى انطلقت معهما ، وأنا أتينا على رجل مضطجع وإذا آخر قائم عليه بصخرة ، وإذا هو يهوى بها فيثلغ[1] رأسه فيتهدهد[2] الحجر ، فيتبع الحجر فيأخذه ، فلا يرجع إليه حتى يصح رأسه كما كان ، ثم يعود عليه فيفعل به مثلما فعل المرة الأولى .

قال : قلت : سبحان الله ما هذا ؟

قال : قالا لى : انطلق .. انطلق .

قال : فانطلقنا فأتينا على رجل مستلقى لقفاه ، وإذا بآخر قائم عليه بكلوب من حديد وإذا هو يأتى أحد شقى وجهه فيشرشر شدقه إلى قفاه ومنخره إلى قفاه وعينه إلى قفاه ، قال ثم يتحول إلى الجانب الآخر فيفعل به مثلما فعل بالجانب الأول ، فما يفرغ من ذلك الجانب حتى يصح ذلك الجانب كما كان ، ثم يعود عليه فيفعل مثلما فعل المرة الأولى .

قال : قلت : سبحان الله .. ما هذان ؟

قال : قالا : انطلق .. انطلق .

قال : فانطلقنا فأتينا على مثل التنور ، قال : وأحسب أنه كان يقول : فإذا فيه لغط وأصوات قال فاطلعنا فيه ، فإذا فيه رجال ونساء عراة ، وإذا هم يأتيهم لهب من أسفل منهم ، فإذا أتاهم ذلك اللهب ضوضوا[3] .

قال : فقلت لهم : ما هؤلاء ؟

قال : قالا : انطلق .. انطلق .

قال : فانطلقنا فأتينا على نهر حسبت أنه كان يقول أحمر مثل الدم .

---

(١) يثلغ رأسه : يشدخه . (٢) يتدهده : ينحط ، والمراد أنه يدفع الحجر من علو لأسفل .

(٣) ضوضوا : أى رفعوا أصواتهم مختلطة .

وإذا فى النهر رجل سابح يسبح وإذا على شط النهر رجل قد جمع عنده حجارة كثيرة ، وإذ ذاك السابح يسبح ما يسبح ثم يأتى ذلك الذى جمع عنده الحجارة فيفغر له فاه[1] فيلقم حجراً ، فينطلق يسبح ثم يرجع إليه ، كلما رجع إليه فغر له فاه فألقمه حجراً .

قال : قلت لهما : ما هذان ؟

قال :قالالى : انطلق .. انطلق .

قال : فانطلقنا فأتينا على رجل كريه المرآة كأكره ما أنت راء رجلاً مرآة ، وإذا عنده نار له يحشها[2] ويسعى حولها .

قال : قلت لهما : ما هذا ؟

قال : قالا لى : انطلق .. انطلق .

قال : فانطلقنا فأتينا على روضة معتمة[3] فيها من كل لون الربيع ، وإذا بين ظهرى الروضة رجل طويل لا أكاد أرى رأسه طولاً فى السماء ، وإذا حول الرجل من أكثر ولدان رأيتهم قط[4] فقال قلت لهما : ما هذا ؟ ما هؤلاء ؟

قال : قالا لى : انطلق .. انطلق .

قال : فانطلقنا فانتهينا إلى روضة عظيمة لم أر روضة قط أعظم منها ولا أحسن . قال قالا لى : ارق فيها ، قال فارتقيت فانتهينا إلى مدينة مبنية بلبنة ذهب ، ولبنة فضة فأتينا باب المدينة فاستفتحنا ففتح لنا ، فدخلناها فتلقانا رجال شطر من خلقهم كأحسن ما أنت راء ، وشطر كأقبح ما أنت راء .

قال : قالا لهم : اذهبوا فقعوا فى النهر ، قال وإذا نهر معترض يجرى كأنه ماءه المحض[5] فى البياض ، فذهبوا فوقعوا فيه ثم رجعوا

---

(١) أى يفتح له فمه .

(٢) يحشها : يوقدها .

(٣) معتمة : غطاها الخصب .

(٤) قال الطيبى : أصل هذا الكلام : وإذا حول الرجل ولدان ما رأيت ولدانا قط أكثر منهم .

(٥) المحض : اللبن الخالص عن الماء .

إلينا ، فذهب عنهم السوء فصاروا فى أحسن صورة .

قال : قالا لى : هذه جنة عدن وهذا منزلك .

قال : فسما بصرى صعداً فإذا قصر مثل الربابة[1] البيضاء ، قال قالا لى : هذا منزلك .

قال : قلت لهما : بارك الله فيكما ، ذرانى فأدخله .

قال : قالا : أما الآن فلا ، وأنت داخله .

قال : قلت لهما : فإنى رأيت منذ الليلة عجباً ، فما هذا الذى رأيت ؟

قال : قالا لى : إنا سنخبرك .

– أما الرجل الأول الذى أتيت عليه يثلغ رأسه بالحجر ، فإنه الرجل يأخذ القرآن فيرفضه وينام عن الصلاة المكتوبة .

– وأما الرجل الذى أتيت عليه يشرشر شدقه إلى قفاه ومنخره إلى قفاه وعيناه إلى قفاه فإنه الرجل يغدو من بيته فيكذب الكذبة فتبلغ الآفاق .

– وأما الرجال والنساء العراة الذين فى مثل بناء التنور فإنهم الزناة والزوانى .

– وأما الرجل الذى أتيت عليه يسبح فى النهر ويلقم الحجارة فإنه آكل الربا .

– وأما الرجل الكريه المرآة الذى عنده النار يحشها ويسعى حولها فإنه مالك خازن النار .

– وأما الرجل الطويل الذى فى الروضة ، فإنه إبراهيم ﷺ .

وأما الولدان الذين حوله فكل مولود مات على الفطرة .

قال فقال بعض المسلمين : يا رسول الله ، وأولاد المشركين !

قال : وأولاد المشركين .

---

(١) الربابة : السحابة .

– وأما القوم الذين كانوا شطراً منهم حسن وشطراً قبيح فإنهم قوم خلطوا عملاً صالحاً وآخر سيئاً تجاوز الله عنهم[1].

□ *الحلم وسحر النبي ﷺ :*

روى سفيان بن عيينة رضى الله عنه عن أم المؤمنين ... عائشة رضي الله عنها قالت كان رسول الله ﷺ سُحِر ، حتى كان يرى أنه يأتي نساءه ولا يأتيهن . قال سفيان : وهذا أشد ما يكون من السحر إذا كان كذلك ، فقال : « يا عائشة أعلمت أن الله قد أفتاني فيما استفيته فيه ؟ أتاني رجلان ، فقعد أحدهما عند رأسي ، والآخر عند رجلي ، فقال الذي عند رأسي للآخر : ما بال الرجل ؟

قال : مطبوب [أي مسحور] .

قال : ومن طبه ؟

قال : لبيد بن أعصم رجل من بني زريق حليف ليهود كان منافقاً .

قال : وفيم ؟ قال : في مشط ومشاطة . قال : وأين ؟

قال : في جف طلعة ذكر تحت رعوفة في بئر ذَرْوان » ، قال : فأتى النبي ﷺ البئر حتى استخرجه ، فقال : « هذه البئر التي أريتها ، وكأن ماءها نقاعة الحناء ، وكأن نخلها رؤوس الشياطين » .

قال : فاستخرج ، قالت فقلت : أفلا – أي تنشرت –؟

فقال : أما والله فقد شفاني وأكره أن أثير على أحد من الناس شراً[2].

---

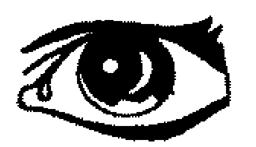
(١) انظر فتح الباري – جـ١٢ – ٧٠٤٧ – كتاب التعبير –

(٢) فتح الباري – كتاب الطب ص ٢٤٣ – طبعة السلفية . جـ ١٠ .

☐ الرسول يرى مصير مسيلمة : –

روى ابن عباس أن مسيلمة ا لكذاب قدم المدينة على عهد رسول الله ﷺ فجعل يقول : إن جعل لى محمد الأمر من بعده تبعته ، وقدمها فى بشر كثير من قومه فأقبل النبى ﷺ ومعه ثابت بن قيس ابن شماس وفى يد النبى ﷺ قطعة من جريد حتى وقف على مسيلمة فى أصحابه فقال : « **إن سألتنى هذه القطعة ما أعطيتكها ، ولن تعدو أمر الله فيك ، ولئن أدبرت ليعقرنك الله ، وإنى أراك الذى أريت فيه ما رأيتُ ، وهذا ثابت بن قيس يجيبك عنى** » ثم انصرف .

قال ابن عباس : فسألت عن قول النبى ﷺ : « **إنى أراك الذى أريت فيه ما رأيتُ** » فأخبرنى أبو هريرة أن النبى ﷺ قال : « **بينما أنا نائم رأيت فى يدى سوارين من ذهب فأهمنى شأنهما فأوحى إلى فى المنام أن أنفخهما ، فنفختهما فطارا ، فأولتهما كذابين يخرجان من بعدى فهذان هما ، أحدهما العنسى صاحب صنعاء والآخر مسيلمة الكذاب صاحب اليمامة** »[1].



(١) زاد المعاد – جـ ١ – ص ٣٢ – المكتبة التوفيقية .



الأحلام فى حياة يوسف عليه السلام



الأحلام فى حياة يوسف عليه السلام

عند الحديث عن الأحلام الشهيرة يكون الحديث عن نبى الله يوسف أمراً لازماً ، فقد أثرت الأحلام في حياته أعظم وأغرب تأثير ، فقد بدأت محنته بسبب حلم ، وتبوأ أعظم المناصب بسبب حلم !!

وقد أوتى نبى الله يوسف القدرة على تأويل الأحلام وتعبير الرؤى ، ﴿ **وكذلك مكنا ليوسف فى الأرض ولنعلمه من تأويل الأحاديث والله غالب على أمره** ﴾ [سورة يوسف - ٢١] . وتكاد الأحلام فى حياة يوسف عليه السلام تكون مرآة لمراحل حياته المختلفة ، فماذا رأى يوسف عليه السلام ؟ وكيف فسر الرؤى ؟

□ ***الذئاب تطارد يوسف :***

ولد يوسف عليه السلام فى أسرة عريقة فى النبوة فجده إبراهيم خليل الله وأبوه يعقوب عليه السلام وجده إسحاق عليه السلام ، وكان يوسف مقرباً من أبيه بشكل يثير حسد إخوته ، وقد سجلت أسفار الكتاب المقدس قصته كما رواها القرآن وإن اختلفت الروايتان .

وهب الله لنبيه يعقوب اثنى عشر ولداً ، وكان يوسف - ولده قبل الأخير - أحب أبنائه إليه ، وكان يعقوب عليه السلام يعلم من الله بما أعده الله تعالى لابنه يوسف من نعم ... ودخل الشيطان قلوب إخوته وهم يرون أباهم وحبه ليوسف ﴿ **إذ قالوا ليوسف وأخوه أحب إلى أبينا منا ونحن عصبة إن أبانا لفى ضلال مبين ٭ اقتلوا يوسف أو اطرحوه أرضاً يخل لكم وجه أبيكم وتكونوا من بعده قوماً صالحين** ﴾

[سورة يوسف ٨ - ٩] .

وبينما الإخوة مع الشيطان يوسوس لهم قتل يوسف كان يعقوب قد رأى فى منامه ما أراه الله وكشف له عما سوف يلحق بيوسف ، فرأى فى منامه عشرة ذئاب يحيطون بيوسف وكادوا أن يفتكوا به ، فانشقت الأرض من تحت يوسف فسقط فيها ونجا من الذئاب ... وهبَّ يعقوب من نومه فزعاً وكأنما الذئاب مازالت أمام عينيه ، فوجد يوسف نائماً إلى جواره فتحسسه ليطمئن قلبه عليه فصَحا يوسف وتطلع إلى وجه أبيه بما أراه الله هو الآخر فى منامه من خير ﴿ **إذ قال يوسف لأبيه يا أبت إنى رأيت أحد عشر كوكباً والشمس والقمر رأيتهم لى ساجدين** ﴾ [سورة يوسف ٤] فاطمأن يعقوب على يوسف بما أراه الله وحمد ربه وقال لابنه ﴿ **يا بنى لا تقصص رؤياك على إخوتك فيكيدوا لك كيداً إن الشيطان للإنسان عدو مبين** ﴾ [سورة يوسف ٥] .

وتحقق حلم يعقوب عليه السلام فألقى الإخوة يوسف فى بئر ، ليخرج منها ويبدأ رحلة أخرى مع الأحلام[1].

□ *يوسف عليه السلام مفسراً : —*

انتقل نبى الله يوسف إلى مصر ليسجن ظلماً بعد موقفه من امرأة العزيز ، وفى السجن توسم فيه اثنان من المساجين خيراً فطلبا إليه أن يفسر لهما حلمين ، وكان أحدهما ساقى الملك والآخر خبازه ويروى أن أحدهما رأى ثلاث قضبان من حبلة[2] أورقت وأينعت عناقيد العنب فأخذها فاعتصرها فى كأس الملك فسقاه .

ورأى الخباز على رأسه ثلاث سلال من خبز وضوارى الطيور تأكل من السل الأعلى ، فقصاها عليه وطلبا منه أن يعبرهما لهما وقالا ﴿ **إنا نراك من المحسنين** ﴾ [يوسف ٣٦] فأخبرهما أنه عليم بتعبيرها

---

(١) نبى الله يعقوب — د/ حامد عوض الله — ص ١٧ — ٢٤ — دار ومكتبة الهلال بيروت .
(٢) الحبلة : الكَرْم .

وفسر لهما الرؤيا فقال ﴿ يا صاحبي السجن أما أحدكما فيسقي ربه خمراً وأما الآخر فيصلب فتأكل الطير من رأسه ﴾ [سورة يوسف ٤١] وخرج الساقي من السجن ، وصلب الخباز ، فما كان من يوسف إلا أن طلب من الساقي أن يذكره عند الملك .

ورأى الملك رؤيا أفزعته ، إذ رأى كأنه على حافة النهر وكأنه قد خرج منه سبع بقرات سمان فجعلن يرتعن في روضة هناك فخرجت سبع هزال ضعاف من ذلك النهر فرتعن معهن ثم ملن عليهن فأكلنهن فاستيقظ مذعوراً .

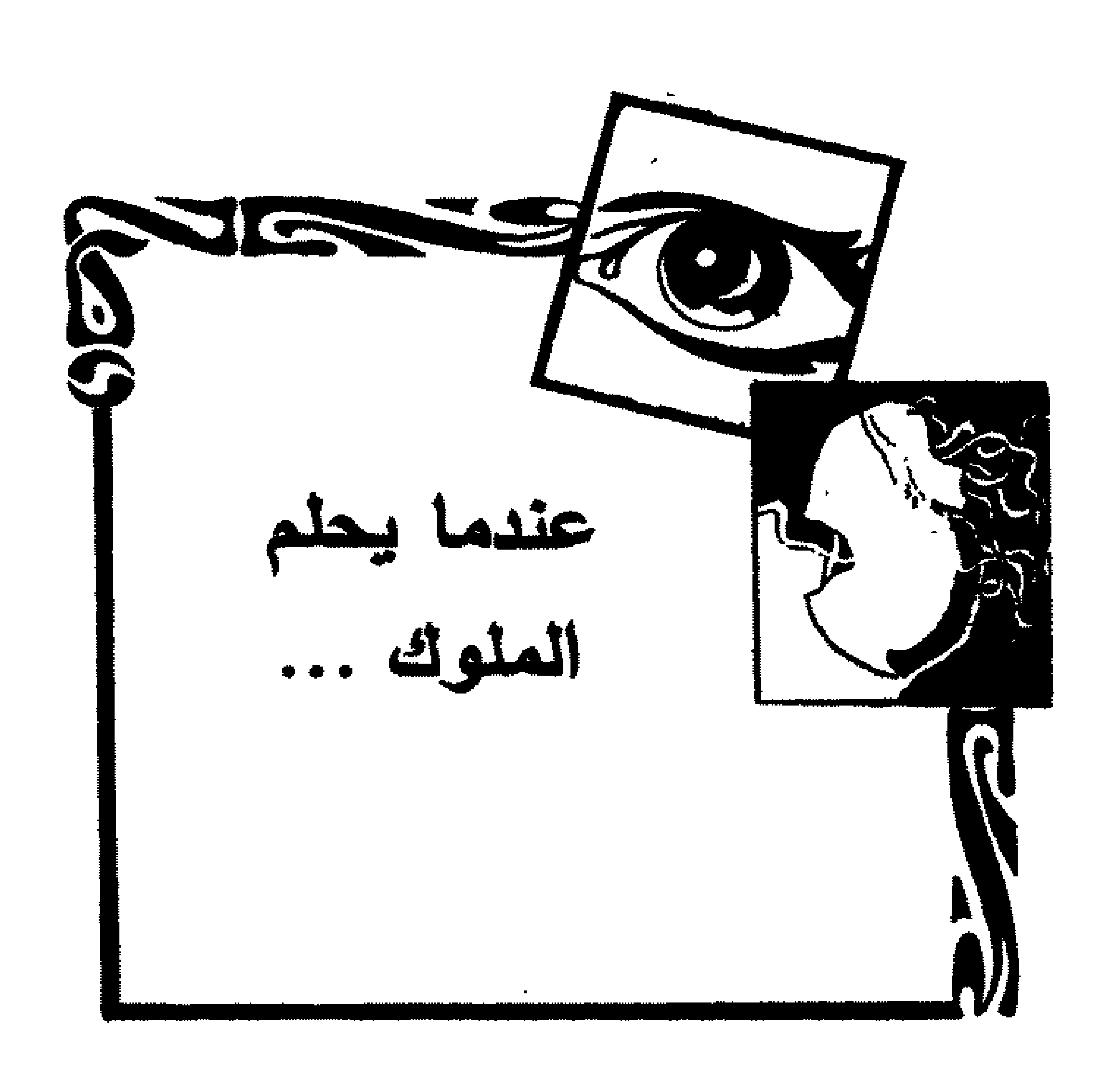
ثم نام فرأى سبع سنبلات خضر في قصبة واحدة وإذا سبع أخر دقاق يابسات فأكلنهن فاستيقظ مذعوراً وقص الملك رؤياه على قومه فلم يكن فيهم من يحسن تعبيرها بل ﴿ قالوا أضغاث أحلام ﴾ [يوسف ٤٤] أي أخلاط أحلام من الليل لعلها لا تعبير لها ، ومع هذا فلا خيرة لنا بذلك ، ولهذا قالوا ﴿ وما نحن بتأويل الأحلام بعالمين ﴾ [سورة يوسف ٤٤] .

فقال الساقي الذي عرف يوسف عليه السلام في السجن : أرسلوني إلى يوسف وأنا أنبئكم بتأويله ، وأوّل يوسف عليه السلام الرؤيا فقال : تأتي سبع مجدبة قبلها سبع مخصبة ، فما حصدتم في سنوات الخصب فذروه في سنبله .

وتولى يوسف خزائن الأرض بعد أن طلب ذلك بنفسه ، وأجابه الملك ، وهكذا لعبت الأحلام دوراً كبيراً في حياة يوسف عليه السلام[1].

---

(١) قصص الأنبياء – ابن كثير – ص ٢٠٢ – ٢١٤ دار الكتاب الإسلامي .


عندما يحلم
الملوك ...

عندما يحلم الملوك

في هذا الجزء نصادف ملوكاً رأوا مصارعهم أمام أعينهم وآخرين استشرفوا ضياع ملكهم وعجزوا عن دفع ذلك وقضوا ساعات عصيبة يتوقعون الخطر بين ساعة وأخرى ، وارتبط ميلاد بعض الأنبياء ببشريات وإنذارات لملوك عصورهم بزوال ملكهم على أيدى هؤلاء الأنبياء .

□ *النمروذ وإبراهيم عليه السلام :* —

كان قوم إبراهيم عليه السلام يسكنون بلاد العراق وفارس يحكمهم ملك جبار عنيد هو النمروذ ، وهو أول من وضع التاج على رأسه وتجبر فى الأرض ودعا الناس إلى عبادته وكان له منجمون وكهان وسحرة يتنبأون له بما يقع قبل وقوعه .

وحدث أن رأى الملك فى منامه كأن كوكباً طلع فذهب بضوء الشمس والقمر حتى لم يبق لهما ضوء ففزع من ذلك فزعاً شديداً ودعا كهنته وسألهم عن ذلك فقالوا : رؤياك تنبىء بأنه سيولد فى ناحيتك هذه السنة مولود ذكر يكون هلاكك وهلاك أهل بيتك على يديه .

فصاح النمروذ متوعداً : ويل له سوف لا أدعه يرى النور ، ثم أمر بجمع النساء الحوامل فى المدينة وإيداعهن فى مكان أعد لهن فكانت كل من تلد منهن ولداً يُقتل لساعته[1].

(١) حياة وأخلاق الأنبياء — ص ٦٥ — ٦٨ .

ورغم هذا الحصار نجا نبى الله إبراهيم وولدته أمه بعيداً عن أعين الرقباء ، فحطم الأصنام ، ونجا برحمة الله من الإحراق بالنار وانتصر على الملك المتجبر محققاً رؤياه .

□ فرعون وميلاد موسى عليه السلام :

كان بنو إسرائيل يقيمون بمصر منذ مجيء يوسف عليه السلام إلى مصر وإحضار أمه وأبيه وإخوته للإقامة بمصر .

ورأى فرعون فى منامه ناراً قد أقبلت من بيت المقدس حتى اشتملت على بيوت مصر فأحرقتها وأحرقت المصريين وتركت بنى إسرائيل ، فدعا فرعون الكهنة والسحرة والمنجمين ,فسألهم عن تفسير رؤياه ، فقالوا له : يولد فى بنى إسرائيل بمصر غلام يسلبك الملك ، ويغلبك على سلطانك ، يخرجك وقومك من أرضك ، ويبدل دينك ، وقد أظلك زمانه الذى يولد فيه .

لم يكن بنو إسرائيل وهم على حال الذل التى كانوا بها قادرين على الانتصاف لأنفسهم فضلاً عن سلب ملك فرعون بجبروته ، فصعق فرعون لهذا الخبر وصرخ قائلاً : بعزتى وجبروتى لن يكون هذا المولود فى أرض مصر ، وأمر بقتل كل غلام يولد فى بنى إسرائيل ، وأقام الحراس لتنفيذ ذلك[1]، ولكن إرادة الله كانت فوق تدبير فرعون فولد موسى عليه السلام وكان سبباً فى هلاك فرعون غريقاً وبذلك تحققت الرؤيا .

□ المأمون يرى أرسطو : —

من أطرف الأحلام التى تروى عن الملوك ما يروى عن رؤية الخليفة العباسى المأمون للفيلسوف اليونانى أرسطو طاليس فى منامه ، فقد كان عصر المأمون عصر نهضة علمية وثقافية ترجمت فيه أهم

---

(١) حياة وأخلاق الأنبياء — بتصرف .

كتب الفلاسفة والمناطقة اليونان ، وربما كان ذلك داعياً إلى اختراع رواية من هذا النوع تبرر هذه النهضة التى كانت بالفعل تحولاً وطفرة تحتاج إلى تفسير وتعليل ، ورغم ذلك فإن فى هذه الرواية ما يستحق نقلها لطرافتها .

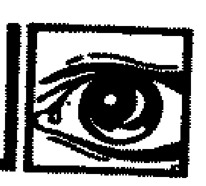
يروى ابن النديم صاحب الفهرست هذه القصة كسبب من أسباب ازدهار حركة ترجمة الفكر اليونانى إلى العربية ، يقول ابن النديم :

رأى الخليفة المأمون فى منامه كأن رجلاً أبيض اللون مشرباً بحمرة واسع الجبهة مقرون الحاجب أجلح الرأس أشهل العينين ، حسن الشمائل جالس على سريره ، قال المأمون : وكأنى بين يديه قد مُلئت له هيبة ، فقلت : من أنت ؟

قال : أنا أرسطو طاليس .
فسررت به وقلت : أيها الحكيم أسألك ؟
قال : سل .
قلت : ما الحسن ؟
قال : ما حسن فى العقل .
قلت : ثم ماذا ؟
قال : ما حسن فى الشرع .
قلت : ثم ماذا ؟
قال : ما حسن عند الجمهور .
قلت : ثم ماذا ؟
قال : ثم لا ثم[1].

---

(١) الفهرست لابن النديم – ص ٣٣٩ – المكتبة التجارية .



ملك يبحث عن مَهْرَب !!!

عندما يحاصرك الخطر الداهم فكيف تفكر ؟

. أول ما يفكر فيه المحاصر بالخطر هو النجاة ، ولكن ماذا يفعل الملك عندما يحاصر الخطر أمته بأكملها ويصبح هو الوحيد العارف بالسر ؟

نحن أمام ملك يريد النجاة بنفسه بلا خسائر — أو بأقلها — من خطر يهدد أمته بالفناء الشامل وينفذ مخططه بحيلة طريفة ، فمن هو الملك ؟

وما الخطر ؟ .. هذا ما سنعرفه .

في عهد الملك عمرو بن عامر الذى حكم اليمن قبل انهيار سد مأرب ، رأت كاهنته التى تدعى طريفة الخبر فى منامها أن سحابة غشيت أرضهم وأرعدت وأبرقت ثم صعقت فأحرقت ما وقعت عليه ، ووقعت إلى الأرض فلم تقع على شيء إلا أحرقته ، ففزعت طريفة الخبر لذلك وذعرت ذعراً شديداً ، وانتبهت وهى تقول : ما رأيت مثل اليوم قد أذهب عنى النوم ، رأيت غيماً أبرق وأرعد طويلاً ثم أصعق فما وقع على شيء إلا أحرق فما بعد هذا إلا الغرق .

فأتت قصر عمرو بن عامر وبينما هو فى حديقة قصره فأسرعت نحوه وأمرت وصيفاً لها أن يتبعها فلما برزت من باب بيتها عارضها ثلاث مناجذ منتصبات على أرجلهن واضعات أيديهن على أعينهن ، وهى دواب تشبه اليرابيع ، فوضعت طريفة يديها على عينيها وقالت لوصيفها إذا ذهبت هذه المناجذ فاعلمنى ، فلما ذهبت أعلمها

فانطلقت مسرعة ، فلما عارضها خليج الحديقة التى فيها عمرو وثبت من الماء سلحفاة فوقعت على الطريق على ظهرها وجعلت تريد الانقلاب فلا تستطيع فتستعين بذنبها وتحثو التراب على بطنها وجنبها وتقذف بالبول ، فلما رأتها طريفة جلست إلى الأرض ، فلما عادت السلحفاة إلى الماء مضت طريفة إلى عمرو فى الحديقة حين انتصف النهار فى ساعة شديد حرها فإذا الشجر يتكفأ من غير ريح فتفذت حتى دخلت على عمرو فقالت له : والنور والظلماء والأرض والسماء ، إن الشجر لتالف ، وسيعود الماء لما كان فى الدهر السالف .

قال عمرو : من أخبرك بذلك ؟

قالت : أخبرنى المناجذ بسنين شدائد يقطع فيها الولد والوالد .

قال : وما علامة ذلك ؟

قالت : تذهب إلى السد ، فإذا رأيت جرذاً يكثر بيديه فى السد الحفر ، ويقلب برجليه من الجبل الصخر ، فاعلم أن النقر عقر ، وإنه وقع الأمر .

وانطلق عمرو إلى السد فإذا الجرذ يقلب برجليه صخرة ما يقلبها خمسون رجلاً ، فرجع إلى طريفة فأخبرها الخبر ، فقالت : إن من علامة ذلك أن تجلس فى مجلسك بين الجنتين ثم تأمر بزجاجة فتوضع بين يديك فإنها ستمتلىء من تراب البطحاء من سهلة الوادى ، وقد علمت أن الجنان مظلة لا يدخلها شمس ولا ريح ، فأمر عمرو بالزجاجة فوضعت بين يديه فلم يلبث إلا قليلاً حتى امتلأت من تراب البطحاء .

فذهب إلى طريفة فأخبرها بذلك وقال : متى ترين هلاك السد ؟

قالت : فيما بين السبع سنين .

قال : ففى أيها يكون ؟

قالت : لا يعلم ذلك إلا الله تعالى ، ولو علمه أحدلعلمته ، ولا يأتى عليك ليلة فيما بينك وبين السبع سنين إلا ظننت هلاكه فى غدها أو فى تلك الليلة .

ورأى عمرو فى منامه سيل العرم وقيل له : إن آية ذلك أن ترى الحصباء قد ظهرت فى سعف النخيل ، فذهب إلى سرب النخيل وسعفه فوجد الحصباء قد ظهرت فيها .

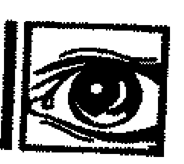
فأخفى الأمر عن الجميع وأجمع أن يبيع كل شىء له بأرض سبأ ويخرج منها هو وولده ثم خشى أن يستنكر الناس ذلك ... فلم يكن مفر من الحيلة .

فصنع طعاماً وأمر بإبل فنحرت وبغنم فذبحت وأعد مائدة عظيمة ، ثم بعث إلى أهل مأرب أن عمراً صنع يوم مجذوذ وذكر فاحضروا طعامه ، ثم دعا ابناً له يقال له : مالك ، فقال له : إذا جلست للطعام فاجلس عندى وتازعنى الحديث واردده على وافعل بى مثلما أفعل بك .

وتنازع مالك مع أبيه فضرب الملك ابنه على وجهه وشتمه فرد الولد على أبيه الصفعة والشتائم كما أمره تماماً ، فقام عمرو وصاح : واذلاه يوم فخر عمرو ومجده يضرب على وجهه !!، وحلف ليقتلنه ، فلم يزالوا به حتى تركه ، ثم قال : والله لا أقيم ببلد صنع هذا بى فيه ، ولأبيعن عقارى فيه وأموالى ، فقال الناس بعضهم لبعض : اغتنموا فرصة غضب عمرو واشتروا منه أمواله قبل أن يتراجع ، وباع الرجل كل ماله ، ولكن الخبر بدأ يتسرب فتوقف الناس عن شراء الممتلكات وبدأت قبائل بأكملها ترحل من اليمن للنجاة من الخطر المرتقب فاستقرت كل قبيلة فى مكان من جزيرة العرب ليبدأ عهد جديد فى تاريخها بسبب حلم أنقذ عرب اليمن[1].

---

(١) مروج الذهب – المسعودى – جـ٢ – ص ١٨٦ – ١٨٩ – دار المعرفة – بيروت – سنة ١٩٨٣ .



شق وسطيح !!

الكاهن مفرد من مفردات التاريخ الإنسانى أحيط دائماً بهالات الإثارة والغموض وكانت كلمات الكاهن بسجعها ورنينها تبعث فى النفس رهبة ، وقد عرف التاريخ بعض الكهان المشاهير الذين عرفوا بعاهة جسدية كالعمى ، وكان العامة دائماً يظنون أنها من أسباب علمه أو بسبب نقمة نزلت به ونحن فى هذا الجزء من الكتاب أمام نموذجين من أعجب نماذج الكهان فى التاريخ وقد كان لهما مع أحد ملوك حمير حكاية لا تقل عجباً .

أما الأول فهو الكاهن شق وهو ربيع بن ربيعة بن مسعود وينتهى نسبه إلى غسان ، أما الآخر فهو سطيح بن صعب بن يشكر وينتهى نسبه إلى نزار ويقال سطيحاً لأنه كان مثل السطيحة ووجهه فى صدره وكان إذا غضب انتفخ وجلس ، وكان شق نصف إنسان ويقال إن خالد بن عبد الله القسرى كان من سلالته .

□ *يفسران الرؤيا قبل معرفتها :*

أما قصتهما مع تفسير الأحلام فقصة طريفة ، فيروى أن ربيعة بن نصر ملك اليمن كان أضعف ملوك التابعة فرأى رؤيا هالته وفظع بها فلم يدع كاهناً ولا ساحراً ولا عائفاً ولا منجماً من أهل مملكته إلا جمعه فقال لهم إنى قد رأيت رؤيا هالتنى وفظعت بها فأخبرونى بها وبتأويلها .

فقالوا : اقصصها علينا نخبرك بتأويلها .

قال : إنى إن أخبرتكم بها لم أطمئن إلى خبركم بتأويلها لأنه لا يعرف تأويلها إلا من عرفها قبل أن أخبره بها .

فقال له رجل منهم : فإن كان الملك يريد هذا فليبعث إلى شق وسطيح فإنه ليس أحد أعلم منهما فهما يخبرانه بما سأل عنه فبعث إليهما فقدم إليه سطيح قبل شق فقال له : إنى رأيت رؤيا هالتنى وفظعت بها فأخبرنى بها فإنك إن أصبتها أصبت تأويلها .

فقال : أفعل ، رأيت حممة خرجت من ظلمة فوقعت بأرض تهمة فأكلت منها كل ذات جمجمة .

فقال له الملك : ما أخطأت منها شيئاً يا سطيح فما عندك فى تأويلها .

قال : أحلف بما بين الحرتين من حنش لتهبطن أرضكم الحبش فليملكن ما بين أبين إلى جرش[1].

فقال له الملك : يا سطيح إن هذا لنا غائظ موجع فمتى هو كائن أفى زمانى أم بعده ؟

فقال : لا وأبيك بل بعده بحين أكثر من ستين أو سبعين من السنين ، ثم يقتلون فيها ويخرجون منها هاربين .

قال : ومن يلى ذلك من قتلهم وإخراجهم ؟

قال : يليهم إرم ذى يزن يخرج عليهم من عدن فلا يترك منهم أحداً باليمن .

قال : أفيدوم ذلك من سلطانه أم ينقطع ؟

قال : بل ينقطع .

قال : ومن يقطعه ؟

قال : نبى زكى يأتيه الوحى من قبل العلى .

قال : وممن هذا النبى ؟

قال : رجل من ولد غالب بن فهر بن مالك بن النضر يكون الملك فى قومه إلى آخر الدهر .

---

(١) أبين وجرش مدينتان يمنيتان .

قال : وهل للدهر من آخر ؟

قال : نعم يوم يجمع فيه الأولون والآخرون يسعد فيه المحسنون ويشقى المسيئون .

قال : أحق ما تخبرني ؟

قال : نعم والشفق والغسق والفلق إذا اتسق إن ما أنبأتك لحق .

ثم قدم عليه شق فكتمه ما قال سطيح لينظر أيتفقان أم يختلفان

قال : نعم رأيت حممة خرجت من ظلمة فوقعت بين روضة وأكمة فأكلت منها كل ذات نسمة .

فقال له الملك : ما أخطأت يا شق منها شيئاً فما عندك فى تأويلها ؟

فقال : أحلف بما بين الحرتين من إنسان لينزلن أرضكم السودان فليغلبن على طفلة البنان وليملكن ما بين أبين إلى نجران .

فقال له الملك : وأبيك يا شق إن هذا لنا لغائظ موجع فمتى هو كائن أفى زمانى أم بعده ؟

قال : لا بل بعده بزمان ثم يستنقذكم منهم عظيم ذو شأن ويذيقهم أشد الهوان .

قال : ومن هذا العظيم الشأن ؟

قال : غلام ليس بدنى ولا مدن يخرج عليهم من بيت ذى يزن .

قال : أفيدوم ملكه أم ينقطع ؟

قال : بل ينقطع برسول مرسل يأتى بالحق والعدل من أهل الدين والفضل يكون الملك فى قومه إلى يوم الفصل .

قال : وما يوم الفصل ؟

قال : يوم تجزى فيه الولاة يدعى فيه من السماء بدعوات تسمع منها الأحياء والأموات ويجمع الناس فيه للميقات ويكون فيه لمن اتقى الفوز والخيرات .

قال : أحق ما تقول ؟

قال : أى ورب السماء والأرض وما بينهما من رفع وخفض إن ما أنبأتك به لحق ما فيه أمض[1].

وتحققت الرؤيا واحتل أبرهة الحبشي اليمن ، واستعان سيف بن ذى يزن بالفرس فى إخراج الأحباش واستمر الحكم فى بيت ذى يزن حتى الفتح الإسلامى .

وذكر ابن كثير عن ابن عباس فى وصف سطيح قال : لم يكن شيء من بنى آدم يشبه سطيحاً إنما كان لحماً على وضم ، ليس فيه عظم ولا عصب إلا فى رأسه وعينيه وكفيه .. وكان يُطوى كما يطوى الثوب من رجليه إلى عنقه ، ولم يكن فيه شيء يتحرك إلا لسانه .

وذكر ابن عباس : أن سطيحاً قدم مكة فتلقاه جماعة من رؤسائهم منهم عبد شمس وعبد مناف أبناء قصى ، فأمتحنوه فى أشياء فأجابهم فيها بالصدق ، فسألوه عما يكون فى آخر الزمان ، فقال :

خذوا منى ومن إلهام الله إياى .. أنتم الآن يامعشر العرب فى زمان الهرم ، سواء بصائركم وبصائر العجم ، ولا علم عندكم ولافهم ، وينشأ من عقبكم ذوو فهم ، يطلبون أنواع العلم فيكسرون الصنم ، ويتبعون الروم ، ويقتلون العجم ، يطلبون الغنم ، ثم قال :

والباقى الأبد ، والبالغ الأمد ، ليخرجن من ذا البلد نبى مهتد ، يهدى إلى الرشد ، يرفض يغوث والفند ، يبرأ عن عبادة الضدد ، يعبد رباً انفرد ، ثم يتوفاه الله بخير دار محموداً ، من الأرض مفقوداً ، وفى السماء مشهوداً ، لا خرق ولا نزق[2]، ثم يلى أمره الحنيف ، مجرب غطريف[3]، قد أضاف المضيف ، وأحكم التحنيف ، ثم ذكر عثمان ومقتله وما يكون بعد ذلك من أيام بنى أمية ثم بنى العباس وما بعد ذلك من الفتن والملاحم . ساقه ابن

---

(١) أمض : أدى لسانه غير ما يريد

(٢) النزق : السفه .

(٣) الغطريف : السيد الشريف .

عساكر بسنده عن ابن عباس بطوله[1].

وأخبار سطيح كثيرة ، وقد جمعها غير واحد من أهل العلم ، والمشهور أنه كان كاهناً ، وقد أخبر عن النبى - ﷺ - وعن نعته وبعثه .. أما مدة حياته ، فقيل إنه عاش سبعمائة سنة ، وقيل خمسمائة سنة .. فالله أعلم بالصواب . .



(١) البداية والنهاية - ابن كثير - دار الفكر العربى - جـ ٢ - ص ١٦٢ - ١٦٣ .

رؤيا كسرى .. وخمود نار فارس

روى البيهقى فى دلائل النبوة عن مخزوم بن هانىء المخزومى ، عن أبيه ، قال : لما كانت الليلة التى وُلد فيها رسول الله - ﷺ - ارْتجس[1] إيوان كسرى ، وسقطت منه أربع عشر شرفة ، وخمدت نار فارس ، ولم تخمدْ من قبل بألف عام ، وغاضت بحيْرةساوة ، ورأى الموبذان[2] إبلا صعاباً تقود خيلاً عراباً ، قد قطعت دجلة وانتشرت فى بلادها .

فلما أصبح كسرى أفزعه ذلك وتصبرَّ عليه تشجعاً ، ثم رأى أن لا يدخر ذلك عن وزرائه ومرازبته[3] حين عيل صبره ، فجمعهم ولبس تاجه ، وقعد على سريره ، ثم بعث إليهم فاجتمعوا عنده ، قال :

اتدرون فيم بعث إليكم ؟ .

قالوا : لا ، إلا أن يخبرنا الملك بذلك !.

فبيْنا هم كذلك إذ أتاه كتاب بخمود نار فارس ، فازداد غماً إلى غمه ، ثم أخبرهم بما هاله ، فقال الموبذان :

وأنا - أصلح الله الملك - قد رأيتُ هذه الليلة ، ثم قصَّ عليه رؤياه فى الإبل .

قال : وأى شيء يكون هذا يا مُوبذان - وكان أعلمهم فى أنفسهم -؟ .

قال : حدث يكون من ناحية العرب .

فكتب كسرى عند ذلك : من ملك الملوك كسرى إلى النعمان بن المنذر .. أما بعد .. فوجه إلىّ برجل عالم بما أريد أن أسأله عنه .

فوجَّه إليه بعبد المسيح بن عمرو بن حيان بن بُقَيْلة الغسَّانى .. فلما قدِم عليه قال :

---

(١) ارتجس : رجف .
(٢) الموبذان : فقيه الفرس .
(٣) المرْزبان : الرئيس من الفرس ، وجمعها مرازبة .

ألك علم بما أريد أن أسألك عنه ؟ .

قال : يسألنى ، أو يخبرنى الملك ، فإن كان عندى منه علم أخبرته ، وإلا دَلَلْتُه على من يعلمه .

قال : فأخبره بما رأى .

قال : علم ذلك عند خالٍ لى يسكن مشارف الشام ، يُقال له سَطيح .

قال : فاذهب إليه ، فأسأله وائتنى بتأويل ما عنده .

فنهض عبد المسيح حتى قدم على سطيح ، وقد أشفى[1] على الموت ، فَسلَّم عليه وحياه ، فلم يجبه .. فأنشد عبد المسيح يقول :

أصَمٌّ أمْ يسمع غطريف[2] اليمن   أم فاد[3] فازْلَمَّ[4] به شأْوُ العَنَن[5]

يافاصل الخُطَّة أعيت مَنْ ومَنْ   وكاشف الكربة عن وجه غَضِن

أتاك شيخ الحى من آل سَنَن   وأمه من آل ذئب بن حجن

أزرق بهم الناب صَرَّارُ الأذن   أبيض فضفاض الرداء والبدن

رسول قيل العُجْم يسرى للوسن   لا يرهب الرَّعْد ولا ريب الزمن

تجوب بى الأرض علنداةٌ شزن[6]   ترفعنى وجناً وتهوى بى وجن[7]

حتى أتى عارى الجآجى والقطن[8]   تلفه فى الريح بوغاء الدِّمن[9]

كأنما حُثْحِثَ من حضنى ثكن

قال : ففتح سطيح عينيه ثم قال :

عبد المسيح ، على جمل مسيح ، إلى سطيح ، وقد أوفى على الضريح ، بعثك ملك بنى ساسان ، لارتجاس الديوان ، وخمود النيران ، ورؤيا الموبذان ، رأى إبلاً صعاباً ، تقود خيلاً عراباً ، قد قطعت دجلة فى بلادها ..

---

(١) أشفى على الشيء : اقترب منه .   (٢) الغطريف : السيد .

(٣) فاد : ويروى أيضاً فاز ، والفعلان بمعنى مات .   (٤) ازلمَّ : ذهب مسرعاً .

(٥) شأو العنن : اعتراض الموت على الخلق .

(٦) العلنداة : القوية من النوق ، والشزن : الغليظ من الأرض .

(٧) الوجن : الأرض الغليظة الصلبة .

(٨) الجآجى والقطن : الجآجى عظام الصدر ، والقطن أسفل الظهر .

(٩) البوغاء : التراب الناعم : والدمن : السماد الملبد ويقال لدمْن المكان والماء أى سقطت فيه أرواث الإبل والغنم .

ياعبد المسيح ، إذا كثرت التلاوة ، وظهر صاحب الهراوة ، وفاض وادى السماوة ، وغاضت بحيرة ساوة ، وخمدت نار فارس ، فليس الشام لسطيح شاماً ، يملك منهم ملوك وملكات ، على عدد الشرفات ، وكل ماهو آت آت ..

ثم مات سطيح .. فنهض عبد المسيح إلى رحله وهو يقول :

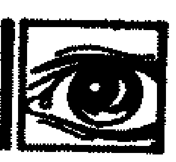
شمّر فإنك ماضى الهم شمير	لا يفزعنك تفريق ولا تغير
إن يُمس مُلك بنى ساسان أفرطهم	فإن ذلك أطـوار دهاريـر[1]
فربما ربما أضحـوا بمنزلـة	يهاب صولتها الأسد المهاصير[2]
منهم أخو الصرح بهرام وإخوته	والهرمُـزان وسابـور وسابـور
والناس أولاد علات[3] فمن علموا	أن قد أقل فمحقور ومهجور
وهم بنو الأم إما إن رأوا نشباً[4]	فذاك بالغيب محفوظ ومنصور
والخير والشر مقرونان فى قرن	والخير مُتبـع والشر محذور

قال : فلما قدم عبد المسيح على كسرى فأخبره بقول سطيح ، فقال : إلى أن يملك منا أربعة عشر ملكاً كانت أمور وأمور ..

فملك منهم عشرة فى أربع سنين ، وملك الباقون إلى خلافة عثمان - رضى الله عنه[*]-



(١) دهارير : جمع دهر .
(٢) المهاصير : جمع مهصار ، وهو الأسد .
(٣) أولادعلات : أبوهم واحد وأمهاتهم شتى .
(٤) النشب : المال .
(*) انظر دلائل النبوة للبيهقى (١٢٦/١) وما بعدها .



رؤيا بختنصر

رُوى عن وهب بن منبه أن بختنصر بعد أن خرب بيت المقدس واستذل بنى إسرائيل بسبع سنين ، رأى فى المنام رؤيا عظيمة هالته ، فجمع الكهنة والحزار وسألهم عن رؤياه تلك ..

فقالوا : ليقصها الملك حتى نخبره بتأويلها ..

فقال : إنى نسيتها ، وإن لم تخبرونى بها إلى ثلاثة أيام قتلتكم عن آخركم !.

فذهبوا خائفين وجلين من وعيده ، فسمع بذلك دانيال عليه السلام وهو فى سجنه ، فقال للسجّان : اذهب إليه فقل له : إن هاهنا رجلاً عنده علم رؤياك وتأويلها فذهب إليه ، فأعلمه ، فطلبه .. فلما دخل عليه لم يسجد له ، فقال له :

ما منعك من السجود لى ؟! .

فقال : إن الله آتانى علماً وعلمنى وأمرنى أن لا أسجد لغيره .

فقال له بختنصر : إنى أحب الذين يوفون لأربابهم بالعهود ، فأخبرنى عن رؤياى ..

قال له دانيال : رأيت صنماً عظيماً رجلاه فى الأرض ورأسه فى السماء .. أعلاه من ذهب ، وسطه من فضة ، وأسفله من نحاس .. وساقاه من حديد ، ورجلاه من فخار .. فبينما أنت تنظر إليه قد أعجبك حسنه وإحكام صنعته قذفه الله بحجر من السماء ، فوقع على قمة رأسه حتى طحنه واختلط ذهبه وفضته ونحاسه وحديده وفخاره حتى تخيل لك أنه لو اجتمع الإنس والجن على أن يميزوا بعضه من بعض لم يقدروا على ذلك .. ونظرت إلى الحجر الذى قذف به يربو[1] ويعظم وينتشر حتى ملأ الأرض كلها فصرت لا ترى إلا الحجر والسماء .

---

(١) يربو : ينمو ويزداد

فقال له بختنصر : صدقت ، هذه الرؤيا التى رأيتها ، فما تأويلها ؟ .

فقال دانيال : أما الصنم فأمم مختلفة فى أول الزمان وفى وسطه وفى آخره ، وأما الحجر الذى قذف به الصنم فدين يقذف الله به هذه الأمم فى آخر الزمان فيظهره عليها ؛ فيبعث الله نبياً أمياً من العرب فيدوخ به الأمم والأديان كما رأيت الحجر دوخ أصناف الصنم ويظهر على الأديان والأمم كما رأيت الحجر ظهر على الأرض كلها ، فيمحص الله به الحق ويزهق به الباطل ، ويهدى به أهل الضلالة ، ويعلم به الأميين ، ويقوى به الضعفة ، ويعز به الأذلة ، وينصر به المستضعفين[1].

□ عقرب يلدغ الخليفة :

رأى الخليفة الفاطمى العاضد فى منامه أن عقرباً خرجت من مسجد بمصر يعرفه الخليفة ... ولدغته ، وقطع ذلك الحلم الرهيب على الخليفة الشاب لذاذات النوم ، فاستيقظ مذعوراً وخشى أن يكون ذلك نذيراً بما يدبر من حوله .

واستدعى الخليفة الشاب مفسرى الأحلام فى عصره ليفتوه فى الرؤيا التى أقضت مضاجعه ، فأفتى أحدهم بأن شراً سيصل إلى الخليفة على يد شخص بذلك المسجد ، وتساءل الخليفة : من يكون ذلك الشخص المقيم بذلك المسجد المرئ فى الأحلام حتى يصل إلىّ منه الأذى ؟ فلا كنت إذن وارث خلافة المهدى الفاطمى ولا حفيد الفاتح المعز ، إن لم أقبض على ذلك الرجل ، الذى تسوّل له نفسه أن يصل إلى هيبة مقامى وجلال سلطانى .

وأصدر الخليفة العاضد — وهو فى فورة الغضب والذعر من تلك الرؤيا المفزعة — أمره إلى والى مدينة القاهرة بأن تحضر له الشرطة كل من يصادفونه فى ذلك المسجد ، فأحضروا له شخصاً عليه ثياب

---

(١) انظر البداية والنهاية (٢/٣٢٥ — ٣٢٦) .

المتصوفة وملامح الزهاد ، وأمارات النساك يقال له « نجم الدين الخويشانى » فسأله الخليفة عن سبب مقدمه ومقامه ، واستخبره عن أمور لعلها تكشف النقاب عن حقيقة أمره ، فأخبره الرجل بالخبر الصحيح لم يخرم منه حرفاً ... فرأى الخليفة المتوجس آيات الصدق على ملامح الرجل ورآه أضعف من أن يناله بشر أو يمسه بسوء ، فوصله بماله وصرفه ، وقال له : ادع لنا يا شيخ !!!

ولم يمض على تلك الرؤيا المفزعة بضعة عشر شهراً حتى شاء الله أن يتحقق ذلك الحلم الذى رآه الخليفة ، وأن تقع الحقيقة كما عبر به المفسرون ، وأن يكون هذا الشيخ بعينه الذى يصل منه الأذى إلى الخليفة .

فالسلطان صلاح الدين الأيوبى الذى أزال الدولة الفاطمية استفتى جماعة من الفقهاء فى أمر مصادرة أموال الفاطميين ، وكان الشيخ مبالغاً فى الفتيا وصرح بتعديد مساوئهم ، حتى كان من أهم الأسباب التى حملت صلاح الدين الأيوبى على التخلص منهم .

وبذلك صحت الرؤيا[1] .

□ سجين أطلقه حلم :

يقول عبد الله بن مالك الخزاعى : كنت شرطياً عند هارون الرشيد ، فأتى رسوله ليلاً فى وقت لم يأتنى فيه قط ، فانتزعنى من فراشى ومنعنى من تغيير ثيابى فراعنى ذلك ، فما إن وصلت إلى الدار حتى أذن لى فى الدخول فدخلت ، فوجدته قاعداً على فراشه

---

(١) ليجان عاوت – محمد عبد الغنى حسن – دار المعارف – ط ٢ – ١٩٦١ ، ص ٤٥ – ٦٠ بتصرف كبير .

مهموماً ، فسلمت عليه فقال : يا عبد الله أتدرى لم طلبتك فى هذا الوقت ؟

قلت : لا يا أمير المؤمنين .

فقال : رأيت الساعة فى منامى كأن عبداً حبشياً قد أتانى ومعه حربة ، فقال : إن خليت عن موسى بن جعفر الساعة وإلا نحرتك بهذه الحربة ، فاذهب فخل عنه .

فقلت : يا أمير المؤمنين أطلق موسى بن جعفر ، وعاودته ثلاثاً . فقال : امض الساعة حتى تطلقه وأعطه ثلاثين ألف درهم وقل له : إن أحببت المقام قبلنا ولك عندنا ما تحب ، وإن أحببت السير إلى المدينة فالإذن فى ذلك لك .

فذهبت إلى الحبس وأخرجته وأعطيته ما أمر به أمير المؤمنين وقلت له : لقد رأيت فى أمرك عجباً . قال : فإنى أخبرك ، إنى كنت بين النائم واليقظان ، فأتى رسول الله ﷺ فقال : يا موسى حبست ظلماً ، فقل هذه الكلمات فإنك لا تلبث هذه الليلة فى الحبس ، فقلت : بأبى أنت وأمى ما أقول ؟

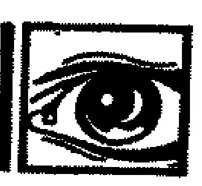
فقال : قل : « يا سامع كل صوت ، ويا كاسى العظام لحماً ومنشرها بعد الموت ، أسألك بأسمائك الحسنى واسمك الأعظم الأكبر المخزون المكنون الذى لم يطلع عليه أحد من المخلوقين ، يا حليماً ذا أناة ، ارحم من لا يقوى على أناة ، ياذا المعروف الذى لا ينقطع أبداً ولا يحصى عدداً أفرج على » .

فكان كما رأيت .





أحلام فى التاريخ الغربى



أحلام فى التاريخ الغربى

هناك أحلام على مدار التاريخ الإنسانى ترسبت واستقرت فى الضمير الإنسانى ، وقد عرف التاريخ الغربى الأحلام كظاهرة تؤثر فى خط سير التاريخ ، كما عرفتها الديانة المسيحية ، وسجلها الكتاب المقدس .

□ *أحلام فى الكتاب المقدس : —*

وقد سجل الكتاب المقدس عدداً من الرؤى نذكر أهمها ، فقد سجل الأحلام التى مرت فى حياة يوسف عليه السلام ، وتمتد الرؤى والأحلام التى غيرت وجه التاريخ ، وتظهر بوضوح فى سرد قصة ميلاد المسيح عليه السلام ، منها حلم يوسف النجار ، وهو الذى كان ينوى الزواج بالعذراء مريم ثم عرف بأنها تحمل طفلاً وظن بها السوء ، فرأى فى منامه الرب يخبره أن المولود يحمل النفحة الإلهية وروح القدس (إنجيل متى إصحاح ١ جزء ١٨) .

ثم حلم يوسف النجار أيضاً ، والذى ينذر بالخطر ، عندما نوى هيرود قتل الأطفال الصغار ، فرأى يوسف النجار فى منامه أن يهرب إلى مصر مصاحباً العائلة المقدسة حتى ينجو من شر هيرود [إنجيل متى إصحاح ٢ جزء ١٩ — ٢٢] وكذلك حلم يوسف النجار بالعودة إلى فلسطين .

كما حفل كتاب « السنكسار » بأحلام لعل أشهرها حلم أحد القسيسين بتفاصيل رحلة المسيح إلى مصر كاملة .

□ من يوليوس قيصر إلى هتلر : —

هناك حلم أثر بشدة على تصرفات يوليوس قيصر الإمبراطور الرومانى وأدى إلى استيلائه على روما الذى كان مقدمة لمتاعب طويلة شهدتها ، فقد رأى نفسه ينام فى فراش واحد مع أمه ويرضع ثدييها .. وفسر المفسرون الحلم بأن الأم تعنى روما التى كان يرمز لها دائماً بذئبة ترضع أطفالها ، فقام بالزحف على روما ، ونصب نفسه إمبراطوراً على البلاد[1].

ويحكى المؤرخ الرومانى ماكسيموس أن هانيبال كان يكره روما والإمبراطورية الرومانية بشكل كبير .. فحلم يوماً حلماً رأى فيه شاباً جميلاً كالملائكة يقول له : إنه رسول السماء ، ليحث هانيبال على غزو إيطاليا وروما عاصمتها ... وفى الحلم أيضاً رأى هانيبال حية ضخمة تحطم كل شىء يعترض طريقها ، وقد امتلأت من خلفها بالسحب الداكنة... انطلق فيها وميض البرق فى تتابع ولما سأل هانيبال فى الحلم الفتى الجميل عن معنى ما يراه قال : إن ما تراه هو دمار إيطاليا على يديك .

وتشجع هانيبال ، وقام بغزو إيطاليا واحتلال روما محطماً كل ما قابله كما حطمت الحية الضخمة كل شىء فى المنام[2].

وأطرف هذه الأحلام مارآه الامبراطور **زيدكسى الفارسى** الذى غزا بلاد الإغريق ، وأصبح أول من احتل تلك البلاد من الغزاة ، ويذكر هيرودوت المؤرخ الإغريقى المعروف قصة حلم رآه هذا الإمبراطور عندما فكر فى غزو بلاد الإغريق ، ولكن مستشاريه نصحوه بالعدول عن ذلك ، وبخاصة وزيره الأكبر « **أرتاباتوس** » ولقد استجاب زيركس للنصيحة ، وأجل الغزو .

---

(١) الحلم وتفسير الأحلام — ص ٢٠ . (٢) الحلم وتفسير الأحلام — ص ٢١ — ٢٢

ثم رأى فى منامه رجلاً طويلاً نبيلاً عظيماً يقف بجانب سريره ويلومه على العدول عن الغزو ، وينصحه باستئناف حملته ، ولما قص الحلم الذى تكرر مراراً على وزيره « أرتاباتوس » رفض الأخير ذلك ، وأصر على موقفه ، مما حدا بالإمبراطور أن يطلب من وزيره أن ينام مكانه فى فراشه لعله يرى ما رآه فى حلمه .

ونام الوزير بعد تردد ، وعاد الرجل الطويل النبيل للظهور فى حلم الوزير ، ولكنه لم يوبخه ولم يلمه ، بل لطمه على وجهه مؤدباً ومهدداً ، وقام الوزير مذعوراً ووافق على الغزو فى الحال[1].

وبالفعل تم الغزو بسهولة شديدة .

أما الحلم اللافت للأنظار فكان من نصيب هتلر ، والذى ورد على لسانه فى كتابه المعروف « كفاحى » ، يقول فيه إنه أثناء الحرب العالمية الأولى والتى كان فيها هتلر مجنداً فى الكتيبة البافارية ... وفى سنة ١٩١٧ قام من نومه فجأة وهو فى الميدان بعد أن حلم حلماً مزعجاً ، وجد فيه نفسه مدفوناً تحت أكوام من التراب والحديد المنصهر ، بينما كانت الدماء تسيل بغزارة من صدره ، ورغم أنه استيقظ ورأى أن كل شىء هادىء فى الميدان من حوله .

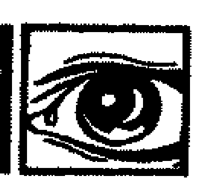
إلا أنه أحس بالضيق يملأ جوانبه ، ولم يستطع العودة للنوم فترك المكان وزحف إلى المكان الفاصل بين الجيشين المتحاربين متجولاً ... وفجأة بدأت القذائف تنهال وتبعها صوت انفجار قريب شديد أسقطه على الأرض مما دعاه إلى الإسراع بالعودة للاختباء فى مخبئه الذى تركه .

ولكنه لم يجد المخبأ الذى كان فيه ، وحلت مكانه حفرة عميقة ، وبينما دفن كل من كان فيه تحت أكوام من التراب والحديد المنصهر كما رأى فى الحلم تماماً .

وكان لهذا الحلم تأثير عجيب على الجند هتلر ، اقتنع بعده تماماً بأن العناية الإلهية قد اختارته بصفة خاصة لمهمة مقدسة ، وهو اقتناع دفعت البشرية ثمنه غالياً من الأرواح وخراب المدن والبلاد .




الأحلام فى معمل
الأبحاث



الأحلام فى معمل الأبحاث

فى كل يوم ٢٤ ساعة يحيا فيها الكائن الحى حياته يفكر أو ينفعل ، يبنى أو يدمر ، إلا أن الفرد العادى ينفق ثمانى ساعات منها مستلقياً على ظهره بعيداً كل البعد عن التأثيرات الخارجية غارقاً فى النوم وعندما يصل الإنسان إلى سن الستين يكون قد أنفق أكثر من عشرين عاماً نائماً وهو قدر هائل من الوقت .

ويبدو النوم للوهلة الأولى حالة سلبية لدى كل الكائنات ، إلا أن النوم ليس حالة من الإنعدام التام للنشاط حيث إن الحيوانات تتقلب وتتحرك أذرعها وأرجلها فى بعض مراحله وعند الإنسان تضاف الأحلام إلى ذلك حيث تخبر المرء بأحداث مبهجة أو مفزعة ترتبط أحياناً بخبراته فى حالة اليقظة ولكن لها منطقها الخاص قطعاً .

والأحلام حية بدرجة كبيرة وتعتبرها بعض الشعوب البدائية تجارب تمر بالروح حيث يظن أنها تترك البدن ، وتذهب إلى حيث يجرى الحلم ، ولدى هؤلاء القوم يكون النوم مفارقة الروح للجسم بشكل مؤقت والدليل على ذلك تلك القاعدة الشائعة عند سكان جزر فيجى ، وفى أماكن غيرها والقائلة بألا نوقظ شخصاً إلا للضرورة القصوى ، إذ أن الروح تكون بعيدة وقد لا تتمكن من العودة فى الوقت المناسب ، وإذا كان لابد من إيقاظه فلنفعل ذلك بالتدريج حتى نعطى الفرصة للروح للعودة[1].

---

(١) عقول المستقبل — جون ج تايلور — ترجمة د/ لطفى فهيم — سلسلة عالم المعرفة — الكويت — ١٩٨٥ ص ١١٢ .

□ كيف تحدث الأحلام ؟

قبل أن نستعرض النتائج المثيرة للتجارب الحديثة التى أجريت على الأحلام نستعرض أولاً تاريخ هذه الظاهرة ، ظاهرة محاولة إجراء تجارب علمية على الأحلام أو وصف كيفية حدوثها ولعل ما روى عن على بن أبى طالب – رضى الله عنه – فى هذا الشأن يكون نقطة بدء مناسبة فقد أخرج ابن أبى حاتم وابن مردويه عن سليم بن عامر أن عمر بن الخطاب قال : العجب كل العجب من رؤيا الرجل ، أنه يبيت فيرى الشيء لم يخطر له على بال ، فتكون رؤياه كأخذ باليد ، ويرى الرجل الرؤيا فلا تكون رؤياه شيئاً .

فقال على كرم الله وجهه : أفلا أخبرك بذلك يا أمير المؤمنين ؟ يقول الله تعالى **﴿ الله يتوفى الأنفس حين موتها ، والتى لم تمت فى منامها فيمسك التى قضى عليها الموت ويرسل الأخرى إلى أجل مسمى ﴾** فالله تعالى يتوفى الأنفس كلها فما رأت وهى عنده سبحانه فى السماء فهى الرؤيا الصادقة وما رأت إذ أرسلت إلى أجسادها فهى الكاذبة[1].

فالنص كما فى القول المنسوب إلى أمير المؤمنين على بن أبى طالب رضى الله عنه يقطع بمفارقة الروح للجسد أثناء النوم ، وقد وجدت للمؤرخ العلامة ابن خلدون نصاً يصف كيفية حدوث الحلم بالتفصيل حسب ما توفر له من معارف فى عصره ، يقول :

إن الروح القلبى وهو البخار اللطيف المنبعث من تجويف القلب اللحمى ينتشر فى الشريانات ومع الدم فى سائر أقطار البدن ، وبه تكمل أفعال القوى الحيوانية وإحساسها .

فإذا أدركه الملال بكثرة التصرف فى الإحساس بالحواس

---

(١) تفسير الألوسى – المطبعة الأميرية – جـ ٢ – ٤٠٩ .

الخمس ، وتصريف القوى الظاهرة وغشى سطح البدن ما يغشاه من برد الليل ، انحبس الروح من سائر أقطار البدن إلى مركزه القلبى فيستجم بذلك لمعاودة فعله ، فتعطلت بذلك الحواس الظاهرة كلها وذلك هو معنى النوم ، ثم إن هذا الروح القلبى هو مطية للروح العاقل من الإنسان ، والروح العاقل مدرك لجميع ما فى عالم الأمر بذاته ، إذ حقيقته وذاته عين الإدراك ، وإنما يمنع من تعلقه للمدارك الغيبية ما هو فيه من حجاب الاشتغال بالبدن وقواه وحواسه ، فلو قد خلا من هذا الحجاب وتجرد عنه لرجع إلى حقيقته ، وهو عين الإدراك ، فيعقل كل مدرك ، فإذا تجرد وهو فى هذه الحالة ، قد خفت شواغل الحس الظاهر كلها وهى الشاغل الأعظم فاستعد لقبول ما هنالك من المدارك اللائقة من عالمه .

وإذا أدرك ما يدرك من عوالمه رجع إلى بدنه إذ هو مادام فى بدنه جسمانى لا يمكنه التصرف إلا بالمدارك الجسمانية ، والمدارك الجسمانية ، للعلم إنما هى الدماغية والمتصرف منها هو الخيال ، فإنه ينتزع من الصور المحسوسة صوراً خيالية ثم يدفعها إلى الحافظة تحفظها وقت الحاجة إليها عند النظر والاستدلال .

وكذلك تجرد النفس منها صوراً أخرى نفسانية عقلية فيترق التجريد من المحسوس إلى المعقول والخيال واسطة بينهما ، ولذلك إذ أدركت النفس من عالمها ما تدركه ألقته إلى الخيال فيصوره بالصورة المناسبة له ، ويدفعه إلى الحس المشترك فيراه النائم كأنه محسوس فيتنزل المدرك من الروح العقلى إلى الحس المشترك فيراه النائم كأنه محسوس ، فيتنزل المدرك من الروح العقلى إلى الحسى ، والخيال أيضاً واسطة .

هذه حقيقة الرؤيا ، ومن هذا التقرير يظهر لك الفرق بين الرؤيا الصالحة وأضغاث الأحلام الكاذبة ، فإنها كلها فى الخيال حالة النوم ، ولكن إن كانت تلك الصور متنزلة من الروح العقلى المدرك فهو

رؤيا ، وإن كانت مأخوذة من الصور التي في الحافظة التي كان الخيال أودعها إياها منذ اليقظة فهي أضغاث أحلام .

وأما معنى التعبير فاعلم أن الروح العقلي إذا أدرك مدركه وألقاه إلى الخيال فصوره ، فإنما يصوره في الصورة المناسبة لذلك المعنى بعض الشيء ، كما يدرك معنى السلطان الأعظم فيصوره الخيال بصورة البحر ، فإذا استيقظ وهو لم يعلم من أمره إلا أنه رأى البحر ، فينظر المعبر بقوة التشبيه بعد أن يتيقن أن البحر صورة محسوسة وأن المدرك ورائها .

واعلم أن الخيال إذا ألقى إليه الروح مدركه فإنما يصوره في القوالب المعتادة للحس ، وما لم يكن الحس أدركه قط فلا يصور فيه ، فلا يمكن من ولد أعمى أن يصور له السلطان بالبحر لأنه لم يدرك شيئاً من هذه ، وإنما يصور له الخيال أمثال هذه في شبهها ومناسبها من جنس مداركه التي هي المسموعات والمشمومات[1].

□ ***تعليق :***

أرجو من القارىء الكريم أن يلتمس لي العذر في نقل هذا النص رغم طوله وصعوبة أسلوبه ووجود بعض المصطلحات غير المألوفة ، غير أن قليلاً من التأني في التعامل مع هذا النص يكشف عن أفكار تستحق التعليق والإيضاح لاتصالها بأفكار حديثة في علم النفس .

أولاً : ربط ابن خلدون بين الحلم وبين تخلص الروح من شواغل الجسد وهو ما قرره علماء النفس بعد ذلك بقرون ، يقول الدكتور عثمان نجاتي : لا يزال علماء النفس إلى الآن يعتبرون أحلام اليقظة وأحلام النوم وظائف سيكلوجية متعلقة بوظيفة التخيل ، تحدث في الأغلب عند سكون الحواس والعقل ، يقول **دى لاكراو** :

---

(١) مقدمة ابن خلدون – دار القلم – بيروت – ط ٥ – ١٩٨٤ – ص ٤٧٥ – ٤٧٨ بتصرف .

إن أحلام اليقظة وأحلام النوم تحدث فى حالات خاصة يضعف فيها نشاط العقل والحواس كما يحدث أثناء النوم .

ويقول دوجا : إن التخيل على العموم لا المستعيد فقط وإنما المبتكر أيضاً ، يكون أتم فعلاً أثناء توقف الوظائف العقلية الأخرى ، وفى هذا المعنى يقول برجسون : لكى نستعيد الماضى فى شكل صور خيالية يجب أن نكون قادرين على تخليص أنفسنا من أفعال اللحظة التى نحن فيها[1].

ثانياً : تحدث ابن خلدون عن دور التخيل فى حدوث الحلم وإن كان قد اعتبره واسطة بين ما يلقيه الروح العقلى وما يتلقاه الروح الحسى كما يسميهما ، وعن دوره فى تقديم هذه المدركات فى صورة تناسب الإدراك الحسى للحالم .

ثالثاً : تحدث عما أسماه « **الحس المشترك** » وهى فكرة تقترب كثيراً من فكرة يونج عن « **اللا وعى الشامل** » وهو الذى يظهر فى الأحلام فى شكل بدائل ورموز عليا .

رابعاً : تحدث عن العقل الباطن وإن أطلق عليه اسم الحافظة ، فالأحلام التى تأتى منها أودعها الخيال إياها منذ اليقظة — أى أودع صورها — حسب تعبيره — والأحلام التى تكون مصدرها الحافظة هى من أضغاث الأحلام .

خامساً : يربط ابن خلدون بين حواس الحالم وما يراه فى الحلم من رموز تعبر عن أفكار الحلم ويمثل لذلك بأحلام غير المبصرين ، ويسند هذا الدور إلى الخيال الذى يحول الأفكار إلى رموز تناسب شخص الحالم .

أعتقد أن القارىء يشاركنى الإعجاب بهذه الرؤية التى تتسم

---

(١) الإدراك الحسى عند ابن سينا — د/ عثمان نجاتى — ص ٢١١ — ٢١٢ .

بالتماسك ووضوح العلاقات وإن شابها بعض الغموض الذى يتناسب مع بعد مسافة الزمن بين كاتبها وقرائها وقلة حصيلة معارفه بالقياس إلى معارف عصرنا .

□ *التجارب العملية :*

حتى الخمسينيات من هذا القرن ظلت معرفة ودراسة الأحلام قائمة على بيانات ومعلومات نذكرها ، أو كتبها أصحابها بعد الأحلام أحياناً بمدة طويلة ، وما يتبع ذلك من تداخل وتغير ثم حدث اكتشاف مفاجىء جاء بالصدفة البحتة ، وحدث هذا الاكتشاف فى جامعة شيكاغو وفى قسم وظائف الأعضاء سنة ١٩٥٣ – غير كل المفاهيم عن النوم والأحلام ودخل بهما إلى مجال البحث العلمى والطبى السليم .

فى هذه الفترة كان رئيس قسم الفسيولوجيا « **وظائف الأعضاء** » فى الجامعة يقوم بإجراء تجارب على الأطفال حديثى الولادة ، أثناء نومهم لدراسة قدرة المخ عندهم وقياسها بجهاز رسام المخ الكهربائى ، عندما لاحظ أن عيون الأطفال تتحرك بسرعة تحت الجفن المغلق كل فترة أثناء نومهم ، وصاحب هذه الحركات تغييرات واضحة فى شكل الموجات التى يسجلها جهاز رسام المخ ، مما يدل على حدوث تفاعلات عصبية أثناء تلك الفترة .

وعند تطبيق ذلك على البالغين ، وبعد إجراء عدة تجارب ، أمكن معرفة أن النوم ليس – كما يظن البعض – نوعين : نوع ضعيف سهل الإيقاظ وآخر ثقيل ، بل يمر فى عدة دورات متتابعة أمكن دراستها وتحديد علاقتها بالأحلام والكوابيس .

وأصبح للنوم دورات معروفة وقسمت إلى نوعين أساسيين :

النوع الأول :

ويسمى نوم الموجات البطيئة وينقسم لأربعة مراحل تبدأ بالتناوم وتنتهى بالنوم العميق .

النوع الثانى :

ويسمى نوم حركات العين السريعة ويشكل ٢٥ ٪ من النوم كله .

وبدراسة بعض المتطوعين الذين وضعوا تحت الاختبار وأوقظوا فى كل دورة من دورات النوم لوصف الأحلام أمكن الوصول إلى عدة نتائج شبه محددة : —

(١) النوع الأول من النوم عادة يكون خالياً من الأحلام الواضحة إلا بعض المشاهد المشتتة .

(٢) النوع الثانى تصاحبه عدة تغييرات فسيولوجية ، منها ارتخاء فى عضلات الجسم ، ظهور حركات العين السريعة ، ثم يبدأ ظهور الأحلام الواضحة ، وقد تصاحبها حركات لا إرادية بسيطة فى الأطراف ، وأحياناً حركات واضحة كالمشى أثناء النوم[1].

□ *أحلام القطط :*

لاحظ العلماء أن الحيوانات تحلم أيضاً ، وأكثر الحيوانات أحلاماً ربما هى القطط التى ما إن تنام حتى تبدأ فى الأحلام وتصدر أصواتاً مكتومة ، أو تقوم بحركات تشنجية ... لذلك اختار العلماء القطط لإجراء التجارب عليها لمعرفة كيف يحدث النوم .

وقد أدت هذه التجارب إلى اكتشاف مركز عصبى فى جذع المخ الموصل بين فصى المخ وبين النخاع الشوكى ، هذا المركز وظيفته إغلاق الطريق أمام الإشارات الواصلة من الأطراف والأعضاء الحسية

(١) العلم وتفسير الأحلام — ص ٤٦ — ٤٨ بتصرف .

إلى المخ ، وبالتالى بتركه دون تنبيه ، ولما قام العلماء بتحطيم هذا المركز العصبي فى القطط تحولت إلى حيوانات عنيفة تتحرك وتقفز وتكشر عن أنيابها أثناء نومها .... أى تعيش الأحلام بالكامل كأنها مستيقظة(١).

□ استفتاء عن الأحلام :

وفى عام ١٩٦٩ أجرت مجلة الصنداى تايمز اللندنية استفتاءً أجرى فى نوفمبر ، وأجاب عنه حوالى ٢٥ ألف شخص ، وكانت من نتائجه :

- أن حوالى ثلثى الناس ينامون ٦ — ٨ ساعات يومياً .
- والثلث الباقى ينام أكثر من ٨ ساعات .
- وهناك حوالى ٤ ٪ ينامون أقل من ٤ ساعات .

وواصل **د/كليتمان** تجاربه بإيقاظ ٢٧ شخصاً أثناء حالة النوم النشط [نوم حركة العين السريعة] وحصل من عشرين حالة منهم على أوصاف مفصلة لأحلامهم ، ومنذ ذلك الحين جرى إيقاظ آلاف الأشخاص من النوم النشط .وقدم معظمهم وصفاً تفصيلياً لأحلام كانوا يعيشونها فى التو واللحظة .

وهكذا وجدنا طريقة للإمساك بأحلام البشر الزئبقية بأن نسجلها فى وقت حدوثها ، ولا شك أن هذه خطوة بارزة نحو فهم ذلك الثلث الصامت من حياة الإنسان .

وهناك نشاط جسمانى آخر ملازم لنوم الحلم وهو نشاط عضلات الأذن الوسطى ، وهو نشاط يبدو أنه يحدث خلال حركة العين السريعة ، وفى إحدى الحالات كانت عينا أحد النائمين تتحرك

---

(١) المرجع السابق — ص ٤٨ — ٤٩ بتصرف .

من جانب إلى آخر أثناء فترة الحلم ، كما لو كان يحلم بمشاهدة مباراة تنس ، وعندما أوقظ قال إنه كان يحلم بمشاهدة شخصين يقذفان بعضهما بحبات الطماطم[1].

□ محتويات الأحلام :

هناك العديد من الكتب التي تحتوى سجلات للأحلام ، وأضاف إلى ذلك الرصيد كميات هائلة أخرى من خبرات ٢٥ ألف شخص ، وقد جاءت نتائج استقصاء محتويات الأحلام كالتالى :

– يبدو أن النساء يتذكرن أحلامهن أفضل من الرجال .

– والرجال يستمتعون بأحلامهم عموماً أكثر من النساء .

– تزداد الكوابيس فى أحلام النساء عنها فى أحلام الرجال .

– تشيع أحلام القلق وكذلك الأحلام التى تدور حول البحار لدى النساء أكثر منها لدى الرجال [٤٠ ٪ مقابل ٢٧ ٪] .

ويعلق الدكتور « كريستوفر إيفانز » من المعمل القومى للفيزياء قائلاً : « إن هذا الاكتشاف الأخير يلفت النظر بشكل خاص ، لأن الفرق بين الذكور والإناث له دلالة عالية ، ويقف المرء مشدوهاً فى أشد الحيرة بالنسبة لأصل هذا الحلم وقيمته الرمزية .

– تزيد الأحلام الجنسية لدى الرجال عنها لدى النساء .

– ٢٥ ٪ من المشتركين فى الاستفتاء قالوا أنهم حلموا بأشياء فى المستقبل وتحققت .

– ٨٥ ٪ من المشتركين فى الاستفتاء تكررت لهم أحلام بعينها .

– ٢٥ ٪ من الرجال حلموا بالعثور على وابل من النقود بينما حلمت قلة من النساء بذلك .

---

(١) عقول المستقبل – مصدر سابق .

— ٧٥ ٪ من المشتركين يتكلمون أثناء النوم .
— والمزعج أن حوالى ٢٥ ٪ منهم يمشون أثناء نومهم .
وقد حاول « د / ريختشافن » من جامعة شيكاغو السيطرة جسمانياً على الحلم فعرض على بعض المفحوصين أن يمنحهم مكافآت مالية إذا تمكنوا من إطالة الوقت الذى يحلمون به بمقداره ٣٠ أو ٤٥ دقيقة زيادة على المعتاد ، فلم يستطع أحد ذلك إطلاقاً .

☐ تجربة مثيرة .. ونتيجة خطيرة :

من الصعب الفصل بين الحاجة إلى النوم والحاجة إلى الحلم بشكل عام ، وقد يمكن الفصل بين هذين المؤثرين بأن نوقظ الفرد عند بدئه فى الحلم ، كما يبدو من حركات العين السريعة ، فإذا فعلنا ذلك حرمنا الشخص من الحلم ، ولم نمنعه من استكمال النوم .

وقد قام بذلك فعلاً « ويليام ديمنت » بمستشفى جبل سيناء بنيويورك فقد كان يسمح للمتطوع بالنوم بلا انقطاع لعدة ليال بحيث يستطيع أن يكتشف كمية الأحلام لدى الفرد فى المتوسط ، وبعد ذلك كان المتطوع يوقظ فى كل مرة يبدأ فيها حلماً ، واستمر ذلك لعدة ليال ، وأثناء النهار لم يكن يسمح للمتطوع بأن يغفو حتى لا تأتيه أحلام .

وسجل الدكتور « ديمنت » أن أحد المتطوعين انصرف بعد ثلاث ليال فقط متحججاً بأعذار مختلفة ، وأصر متطوعان آخران على التوقف بعد أربع ليال ، واستمر متطوع واحد فى التجربة بشجاعة لمدة سبع ليال حرم فيها من الأحلام ، وفى الختام عند نهاية الحرمان من الحلم سمح لكل فرد أن ينام بلا انقطاع لعدة ليال حسبت لهم فيها أوقات الحلم مرة أخرى .

ومن الطريف أنه مع استمرار ليالى الحرمان من الأحلام حاول المتطوعون أن يزيدوا من أحلامهم مما تطلب زيادة مرات الإيقاظ ، حتى وصل الأمر إلى إيقاظ أحدهم ثلاثين مرة ، بل وصل الأمر فى الليلة السابعة إلى إيقاظ النائم أكثر من مائتى مرة ، وعندما سمح له أن ينام بلا انقطاع زادت أحلامه بنسبة ٦٠ ٪ لمدة ثلاث ليال متتالية .

وللذهاب إلى أبعد مدى للحرمان من الأحلام استخدمت [سلفات الدركسين] فكانت تعطى للمتطوعين عند النوم ، وقد اضطر العالم إلى إيقاف التجربة مع أحد المتطوعين فى الليلة الرابعة عشرة ، لأنه حدث تغير درامى مفاجىء فى شخصية المفحوص ، فبعد أن كان أميل إلى الصمت وذا مثل أخلاقية عالية ، أصبح فجأة مفلوت العيار ، ثرثاراً ، مهذاراً ، وقال هو عن نفسه : لقد أصبحت طليقاً خالياً من الهموم بشكل غريب ، لا أهتم البتة بما يعتقده الآخرون فىّ وكنت مستعداً لأن أجرب كل شى .

فإذا كانت الحاجة إلى الحلم قوية بهذا الشكل فلنا أن نتوقع آثاراً جسمانية أو نفسية ناشئة عن الضغط الحادث نتيجة الحرمان من الأحلام ، وقد ظهرت لدى خمسة من المفحوصين زيادة واضحة فى الشهية إلى الطعام ، وظهر لدى أحد المفحوصين مظاهر قلق وتهيج واضح ، وقد اختفت هذه التغيرات بعد إيقاف التجارب .

□ هل هناك بشر لا يحلمون ؟

لاشك أن هذا السؤال كثيراً ما يطرح نفسه ، ويربطه الناس عادة برواياتهم لأحلامهم ، واهتمامهم بتحققها كما رأوها أو فى شكل رمزى ، وبعض الناس يظنون أن ظاهرة الحلم ترتبط بطبيعة الشخصية

أو الظروف الاجتماعية أو الثقافية ، بل والظروف الطارئة التى يمر بها كل شخص فى حياته اليومية ، والتى تتغير صعوداً وهبوطاً ، وارتياحاً وتوتراً .

فبعض الناس يزعمون أنهم لا يحلمون أبداً ، إلا أن التجارب الدقيقة قد بينت أنهم يحلمون ، ولكن القدرة على تذكر الأحلام هى التى تختلف بدرجة كبيرة من شخص لآخر .

فقد بينت بحوث النوم التى أجراها « **دكتور أوستن** » مع مجموعة باحثين بأدنبرة أن الأشخاص الذين يميلون إلى التفكير بطريقة منطقية وقليل من الخيال ، تكون قدرتهم على استرجاع الأحلام ضعيفة ، حتى لو أوقظوا خلال الحلم .

ومن المعتقد أن الحلم يحدث فقط عند انخفاض درجة حرارة الجسم عادة ما بين منتصف الليل والثامنة صباحاً ، وهذا يعنى أن من يعملون بالليل يعانون الحرمان من الأحلام[1].

□ *الأحلام والأمراض* : —

ظل الهندوس والصينيون ولأجيال طويلة يعتقدون أن الأحلام هى خير وسيلة للتنبؤ بالأمراض العضوية ، بل وتشخيصها قبل حدوثها ، فدرسوها وصنفوها إلى عدة أنواع ، كل نوع منها ينذر بمرض عضوى محدد قادم فمثلاً :—

— الحلم بالأشباح والعفاريت والنيران والدخان ، ينذر بأمراض فى القلب والدورة الدموية .

— الحلم بالقتال والشجار والجنود ، أو الطرق الوعرة ، ينذر بأمراض تصيب القلب والرئتين .

---

(١) عقول المستقبل — مصدر سابق .

– الحلم بالغرق أو اللعب فى الماء الغزير ينبىء بأمراض الكلى والجهاز البولى .
– الحلم بالولائم الفخمة أو الحفلات الصاخبة ينذر بأمراض تصيب الطحال والدم .
– الحلم بالغابات الكثيفة والجبال الشاهقة والمزارع ينذر بأمراض الكبد .

أما فى الغرب فقد خضعت الظاهرة للتجربة العلمية والملاحظة فكانت النتائج بين الأحلام وما يصاب به الحالم من أمراض كالتالى .

– إصابات القلب والشرايين خاصة التاجية تسبقها كوابيس أو أحلام باندلاع نيران مرعبة .
– إصابات نزيف المخ وجلطة شرايين المخ تسبقها أحلام حمراء مليئة بالدم المسفوك .
– الأمراض العصبية يسبقها أحلام مشتتة وهلاوس تنذر بقرب الانهيار العصبى أو النفسى .

وظهر إلى الوجود علم جديد يسمى علم التنبؤ بالأحلام للأمراض ، بدأ الاهتمام به يتزايد فى عدة أوساط علمية ، وأصبح تحليل الأحلام وسيلة فعالة فى معرفة كثير من الأمراض ، أو التنبؤ بقرب حدوثها[1] .

☐ الأحلام والعقاقير :

حاول العلماء التحكم فى الأحلام بالعقاقير ، وامتدت هذه المحاولة إلى محتوى الأحلام ، وبيّن تحليل آثار تعاطى حبوب

---

(١) العلم وتفسير الأحلام – ص ٥٥ – ٦٠ بتصرف .

(الباريتورات) المنومة على محتوى الأحلام ، فقد اكتشف [**دكتور كارول ، ودكتور س . لويس ، ودكتور ا . أوزفالد**] بجامعة أدنبرة أن هذه الأقراص تؤدى إلى جعل الأحلام أقل هلوسة ، وأكثر هدوءاً .

فبتعاطى هذا العقار أصبحت الأحلام أكثر مللاً وهدوءاً ، وقد طرحت هذه الأبحاث إمكان التحكم فى النوم وإلى فهم خطر نقص الأحلام ، فحوادث اصطدام السيارات والشاحنات تنشأ عن استمرار القيادة لفترة طويلة دون الحصول على الراحة الملائمة ، ويخبر سائقو المسافات الطويلة عن هلاوس مشابهة لخبرات الأحلام ، فكم من مرة قال أحدهم : « إنه رأى عناكب حمراء ضخمة تزحف على زجاج السيارة الأمامى أو حيوانات وهمية تعبر الطريق »[1].

وفى النهاية إذا تم فهم العمليات الكيميائية الكائنة وراء النوم فهماً صحيحاً فقد يصبح من الممكن فى المستقبل تجنب النوم تماماً بإسراع تلك العمليات أو تغيرها .

ولكن هل يمكن تجنب الأحلام ؟



(١) عقول المستقبل – ص ١١٢ – ١٤٣ بتصرف كبير .

خاتمـة

لاشك أنها رحلة مثيرة ...

إن هذه الظاهرة الإنسانية التى حيرت الإنسان منذ ما قبل التاريخ وحتى القرن العشرين ، ورغم اختلاف الشرق والغرب حول تفسير الظاهرة ، إلا أن الفريقين وجدا فيها من الإثارة ما يستحق الدراسة ، ولم يخل التاريخ من أحلام سجلتها كتب التاريخ ، بل إن بعض الأحلام ارتبطت بعبادات وسجلتها الكتب المقدسة .

ورغم ما أحرزه الإنسان من تقدم مدهش فى استكشاف الكون ، ومحاولة السيطرة على قواه فإنه ظل عاجزًا عن استكشاف ذاته بنفس القدر ، وظلت مساحات الظل أكبر بكثير من مساحات النور ، وظل الحلم مجهولاً يدور الإنسان حوله محاولاً اقتحامه والغوص فى داخله .

ورغم توافر حالات عديدة يوفرها الواقع كما توفرها صفحات التاريخ فإنه ظل يسأل نفسه عاجزاً عن الفهم :

- لماذا نحلم ؟
- ما مصادر الأحلام ؟
- كيف نتحكم فيها تحكماً تامًا ؟

وكيف نفهم أحلامنا ونحولها من مجرد خواطر – سارة أو حزينة – إلى معانٍ محددة ؟

إن الرؤيا فى التراث الإسلامى تحتل مكانًا مرموقًا لأسباب عديدة :

أولهـا :

إنها ظاهرة سجلها القرآن الكريم ، فأخبر بأحلام بعض الأنبياء ، كحلم يوسف عليه السلام بسجود الكواكب والشمس والقمر له ، وحلم فرعون بالبقرات السبع والسنابل السبع ، وحلم إبراهيم عليه السلام بذبح ابنه إسماعيل .

ثانيهـا :

إن السنة الصحيحة سجلتها ووردت فى عدة أحاديث لرسول الله ﷺ .

ثالثهـا :

إنها وسيلة من وسائل الوحى وهى أول ما بدىء به ﷺ .

رابعهـا :

إنها وسيلة من وسائل التكريم لغير الأنبياء ، فهناك الرؤيا من الله ، كرؤية النبى ﷺ .

خامسهـا :

إن غير واحد من الأنبياء عرف بالقدرة على تأويل الأحلام ، بل ومنّ الله على يوسف عليه السلام بذلك ، وقرن ذلك بالتمكين له فى الأرض : **﴿ وكذلك مكنا ليوسف فى الأرض ولنعلمه من تأويل الأحاديث والله غالب على أمره ﴾** [سورة يوسف : ٢١] .

فالأحلام إذن ليست مجرد تنفيس عن كوامن رغبة أو قلق أو إنعكاس لعقد نفسية ، ولكنها سبيل إلى نوع من المعرفة ، وهو وإن كان نوعًا غريباً من المعرفة إلا أنه ثابت حسب اعتقادتنا كمسلمين ، ومقطوع بصحته حسب روايات التاريخ خاصة الموثوق فيها .

إن نتائج الأبحاث التى أوردناها تثبت بما لا يدع مجالاً للشك أن للإنسان امتداداً فى عالم الروح ، فقد قطعت الأبحاث باحتياج كل إنسان للحلم ، وعرضت نتائج افتقاد الإنسان للحلم وهذه الظاهرة بالذات يكون الإنسان فى أدائها سلبيًا تمامًا بدليل عدم قدرته على منعها أو التحكم فى حجمها أو الاستغناء عنها ، فلابد أن ثمة إرادة إنسانية تتجاوز إرادة الفعل المادى ، إرادة تنبع من اتصاله بعالم آخر ، وتقوم على أدائها أجهزة بيولوجية خارج إطار السيطرة البشرية .

فهل سيصل الإنسان المعاصر إلى مرحلة يحول الأحلام فيها إلى مجرد ظاهرة معملية ؟

من يدرى ؟!

ممدوح الشيخ



مصادر الدراسة

١ - القرآن الكريم .

٢ - أحلام الأنبياء والصالحين : أحمد الصباحي عوض الله
دار الشعب - القاهرة - سنة ١٩٧٤ .

٣ - فرويد يفسر لك أحلامك : نظمي لوقا
مكتبة غريب .

٤ - السيرة النبوية : ابن هشام - تحقيق د/ محمد فهمي السرجاني .
المكتبة التوفيقية

٥ - نبي الله يعقوب : د/ حامد عوض الله
دار ومكتبة الهلال - بيروت .

٦ - قصص الأنبياء : ابن كثير - تحقيق محمد أحمد عبد العزيز .
دار الكتاب الإسلامي .

٧ - حياة وأخلاق الأنبياء : أحمد الصباحي عوض الله .
مكتبة مدبولي سنة ١٩٨٣ .

٨ - تيجان مهاوت : محمد عبد الغني حسن .
دار الفكر العربي .

١٦ - مروج الذهب : المسعودي .
- دار المعرفة - بيروت ١٩٨٣ .

١٧ - زاد المعاد : ابن القيم .
المكتبة التوفيقية .

١٨ - فرويد : ادجار بيش
بدون ناشر .

١٩ – **فتح البارى** : ابن حجر العسقلانى .
طبعة المكتبة السلفية .
٢٠ – **مراجع ثانوية .**
دار المعارف – ط ٢ سنة ١٩٦١ .
□ **الفهرست** لابن النديم .
المكتبة التجارية .
□ **عقول المستقبل** : جون ج تايلور – ترجمة د/ لطفى فهيم .
سلسلة عالم المعرفة – الكويت – أغسطس ١٩٨٥ .
□ **العلم وتفسير الأحلام** : د/ عبد الرحمن نور الدين .
دار الهلال – ١٩٩٠ .
□ **تفسير الألوسى .**
المطبعة الأميرية ببولاق .
□ **مقدمة ابن خلدون** :
دار القلم – بيروت ط ٥ .
□ **الإدراك الحسى عند ابن سينا**
بحث فى علم النفس عند العرب – مكتبة الدراسات .
دار المعارف بمصر ط ١٩٦١/٢ . د/ عثمان نجاتى .
□ **البداية والنهاية** : ابن كثير .



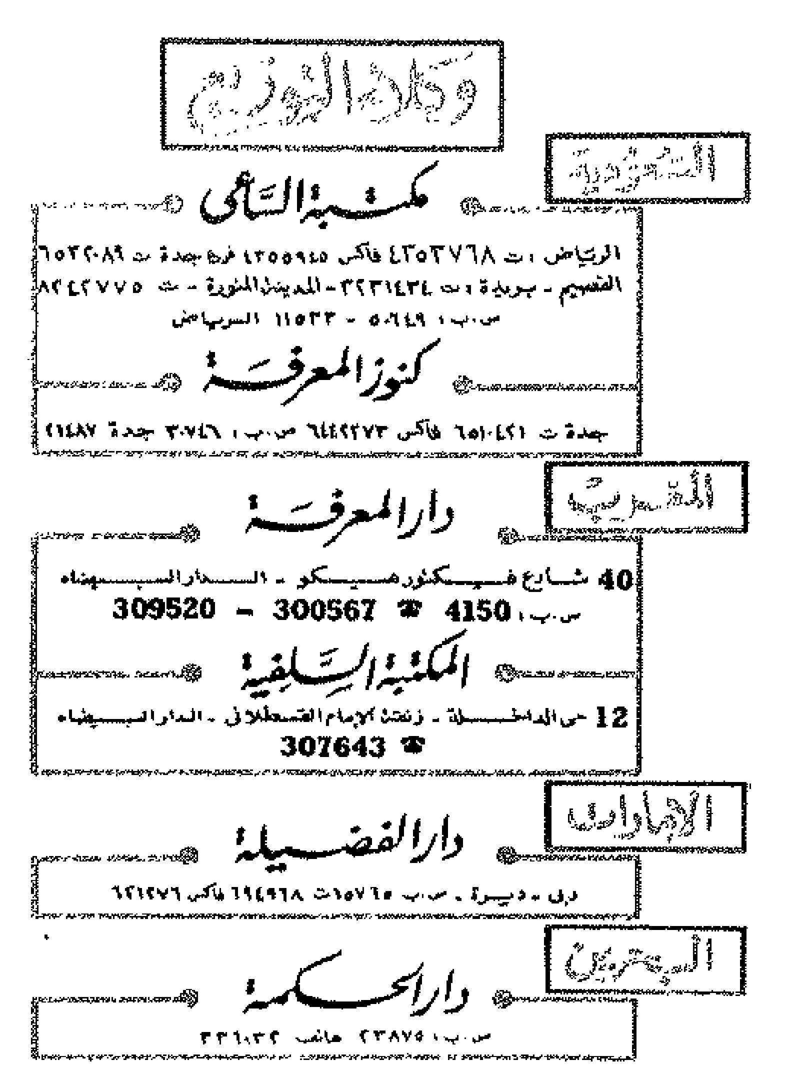
الفهرس

رقم الإيداع

رقم الإيداع بدار الكتب ٧١٦٣/١٩٩٣

الترقيم الدولى ٥ -٦٢-٠-٢٧١ ٩٧٧

دار النصر للطباعة الإسلامية
٢ ـ شارع نشاطى شبرا القاهرة
الرقم البريدى ـ ١١٢٣١



وكلاء التوزيع
السعودية
مكتبة الساعي
الرياض : ت ٤٣٥٣٧٦٨ فاكس ٤٣٥٥٩٤٥ فرع جدة ت ٦٥٣٢٠٨٩
القصيم - بريدة : ت ٣٢٣١٤٣٤ - المدينة المنورة - ت ٨٢٤٤٧٧٥
ص.ب : ٥٠٦٤٩ - ١١٥٣٣ الرياض
كنوز المعرفة
جدة ت ٦٥١٠٤٢١ فاكس ٦٤٤٢٢٧٣ ص.ب : ٣٠٧٤٦ جدة ٢١٤٨٧
المغرب
دار المعرفة
40 شارع فيكتور هيكو - الدار البيضاء
ص.ب : 4150 ☎ 300567 - 309520
المكتبة السلفية
12 حي المحطة - زنقة الإمام القسطلاني - الدار البيضاء
☎ 307643
الإمارات
دار الفضيلة
دبي - ديرة - ص.ب ١٥٧٦٥ ت ٦٩٤٩٦٨ فاكس ٦٢١٢٧٦
البحرين
دار الحكمة
ص.ب : ٢٣٨٧٥ هاتف ٣٣١٠٣٢